

# العنكبوت

قصص مصرية



صبري موسى

Sp. C  
892.  
M985



صبرى موسى

# الخبز

قصص مصرية قصيرة

الطبعة الاولى - ١٩٥٨

کد انت س .. ع جب  
میری



« ليس هذا عرضا نقديا لهذا  
المجموعة .. انما هو قراءة متلوقة لما  
اخصه من قصص .. مع تعميق لبعض  
مراقبتها »

## هذه القصص

بسيطة كالنفوس في بلادنا .. شريفة كالكادحين من  
أجل قوت العيال ..

انها تعكس الحياة في حركتها وهي تتجدد دائما ،  
وتتدفق دائما .. وتمتد بالبقاء الى كل شيء ، حتى الى  
الشوك !!

ما أشبه الانسان في هذه الحياة باخاوي ..  
انه يستعين بالعرق واللاهات والجن والسمامير  
والثعابين ، ليصنع لقمة العيش ..  
« عيسى نبي ، وموسى نبي ، ومحمد نبي ، وكل من  
له نبي يصلي عليه .. »

انه ينشد في الناس دينا آخر .. دين الانسانية  
الكبير .. دين المشاركة ، الذي يوحد كل البشر ..

والكادحون الذين يشقون ويعرقون ، يعرفون ان  
الدينا ليست غيبا وقدرا .. لقد علمهم الكدح  
والدأب ، ان الحياة هي ارادة الانسان ..

انها صراع ، ومهارة ، وذكاء ، وبذل .. و « يخضعك  
الى يقولك ، اننا نتعامل مع الجن والعفاريت .. المسألة  
خفة يد وشطارة .. » !

ويجتمع الناس ، ليقفوا على هذا النوع من خفة اليد  
والشطارة ، الذي لم يمارسوه ، وينعطفوا مع هذا  
الاخ الانسان ، الذي يقدم من اذلال النفس والجسد في  
سبيل الرغيف ، فوق ما يقدمون ..

وكلنا نسعى ، ونلهث ، ونحفي ٠٠ و « الى مشافنيش  
فى اسكندرية شافنى فى بور سعيد ، والى مشافنيش  
فى بور سعيد شافنى فى دمياط ، والى مشافنيش فى  
دمياط ، شافنى هنا ٠٠ بنلف الدنيا عشان لقمة  
العيش ٠٠ »

فالحياة عسيرة ، شاقة ، ولقمة العيش صعبة ٠٠ من  
اجلها يتطلع الخاوى السيوف ، ويتقيد بأحبال « تجمهر »  
وتدخل وفاء السرير مع كل من يدفع من الرجال  
« الساعة » ٠٠

وتصعد بنت المعلم حسين الى غرفة كمال أفندى على  
السطح « تفاح » ٠٠  
وتتأبط الفتاة القطة ، ذراع أول رجل فى الطريق  
« القميص » ٠٠

ويترك الرجل بلدته وحبيبته ، ويتلطم فى كل البلاد  
ليجمع ثمن الزواج « فى الغربة » ٠٠  
كل هذه المخلوقات الشريفة ، لا تطلب من الحياة  
أكثر من أن تظل فيها ٠٠

ولكن نوع الحياة الذى يتقلب كالبحر ، يجعل الناس  
كالسماك ٠٠ يأكل الكبير الصغير ٠٠

ولكن الكادحين بالرغم من كل شيء ، يجاهدون  
ويأملون ٠٠ ويمددون خيوط التعاطف والحب والاخاء ٠٠  
تجعلهم الحياة حواء ، ومومسات ، ولصوصا ٠٠  
ولكنها لا تستطيع أن توقف فى نفوسهم نمو الخير

حمدى ابن الخفير لم يكن يملك المصاريف ليدخل  
المدرسة ٠٠ ولم يكن يملك ثمن الصعود الى السرير مع  
وفاء ٠٠ بينما أصدقائه وبلدياته الاثرياء ، منتظمون فى  
الدراسة ٠٠ ممتعون بوفاء ، وبكل شيء ٠٠ فتنعطف



معه الفتاة ، وتأبى الا أن تقاوم هذا الظلم بنفسها ..  
وتعدل وجه الحياة على طريقتهما .. فتسرق ساعة أحدهم  
ليدفع حمدي المصاريف .. وتملكه نفسها بالحب ..  
لا بالاجر « الساعة » .

والعلم همودة صاحب محل العصير ، يعرض خبرته  
فى الشراء على المعلم شعلوق خصمه فى المهنة ، ومنافسه  
فى الرزق .. لأن .. « الناس لبعضها .. والزعل  
ما يبدومش .. واحنا جيران ياخويا .. ومتأخذنيش  
برضه ، شغلانه زى دى جديدة عليك » « السكلان »

وكمال افندى الموظف الصغير ، واجدع العازب  
السكن على السطوح، لم يكن يستغل بنت المعلم حسين،  
ولم يكن يطمع فيها وهى تصعد الى غرفته كل يوم ..  
بل كان يقدم لها ما كان أبوها الفقير يعجز عن احضاره  
بقروشه الضئيلة .. « تفاح » .

كل هذه المخلوقات بالرغم من قسوة ظروفها ، وعتمة  
أيامها ، لاتستطيع الا أن تتعامل بقلوبها ، وبكل الشرف  
والخير والمحبة .. لانستطيع الا أن تؤكد وجودها  
وتتمسك بحقوقها فى الحياة والكرامة والمساواة ..

محمود العامل الصغير كان يتمسك بحقه كمواطن  
شريف مكافح ، وهو يهيم بخنق صديقه .. لانه كان وهو  
يمزح ، يخزده من بطولته .. من مصريته .. وينكر  
عليه شرف الدفاع عن بلده وقت الاعتداء ..

« قلت له ألف مرة أنا مهربتش .. وهو عارف كده  
كويس .. كنا بنضرب سوا .. كلنا .. وبعدين الواد  
انور قال الحق بيتكم انضرب يامحمود ..

أى متكسحة .. يعنى أسببها تموت لوحديها .. »  
ويمضى الاتوبيس بهؤلاء العمال الصغار والابطال  
الكبار .. فى وقت كانت فيه هذه الاحاديث شيئا عاديا،

فى كل مكان من أرض مصر .. فى الاتوبيسات  
والقطارات والشوارع والحدائق والحدائق ..

فى كل ركن كان المصريون يرددون آيات البطولة  
والفداء .. « كنا بنضحك »

وفتاة الطريق تأبطت ذراع أول رجل مر بها فى  
الظلام .. ولكنها أبت أن تخلع أمامه ثيابها حين انغلق  
عليهما الباب .. فقد كان قميصها الداخلى متسخا ،  
مهترئا ، كله ثقوب ..

كانت تتمسك بحقها فى أن تبلى أمامه أنثى عزيزة ..  
أنثى تمارس احساسها المفقود بالكرامة والمساواة ..  
أرادت أن تظهر أمامه لائقة .. مثل زوجة .. لقد  
تشابهت هذه الليلة مع كل أحلامها .. فقد ضمها بيت  
صغير .. ورجل عطوف .. « القميص »

فى أحلام البسطاء ، وأفكار الكادحين ، وتطلع  
المعذنين .. ترسم الحياة كما يجب أن تكون ..  
« الإنسان »

وحين تهون التفجيات .. وتبزغ الكلمة الطيبة ..  
يتأكد الأمل .. ويتضح الطريق .. وتنجذب الى النور  
كل الخيوط المعقدة التى تصنع شقاء الملايين ..

والكلمة الطيبة .. تنمو دائما .. وتصبح مع الأيام ،  
فكرة .. وحركة .. ثم قوة .. وانتصار ..

بدر نشأت

الفريق

التفتت بها في ليلة كنت فيها سأمًا، والملل يدب في داخلي ديبًا له وخز ..  
كانت مقبلة نحوي، فنظرت إليها ويداي في جيوب بلا عناية .. فضت  
تحدق في وجهي بفضول ..

كانت صغيرة .. وجهها مليء بالمساحيق .. وقفت أمامها ولم أقل  
شيئًا .. لكن عيناى قالتا لها كل ما يمكن أن يقال ..

مهمتها أن تقرأ عيون الناس .. فلم يأخذ الأمر منها وقتًا طويلا  
للتفكير .. علقت ذراعها بذراعى، وسارت إلى جوارى وهي تبسم ..  
كنا في آخر الليل .. والدنيا برد .. والعربات تمرق على الشارع  
العريض في الخيخ.

وقد ظلت طوال الوقت صامتة .. كان يحتوي مشاعري ذلك الاحساس  
بالمسئولية المهمة ، الذي يراودني كلما اصطحبت امرأة إلى البيت ..  
وخلال الطريق قالت لي اسمها وعمرها .. ورأيها في كل الرجال .  
كانت تتكلم في صراحة .. وببساطة .. دون التواء أو خبث ، وقد  
شاعت في ملاحظها طيبة غير معهودة ..

لما وصلنا فتحت لها الباب وأشرت إليها بالدخول في صمت أيضا .  
لم تكن لدى قابلية الكلام على الإطلاق ..

وفي الحقيقة .. لقد ظلت طوال الوقت أفكر :  
— لماذا وقفت في طريقها ؟ .. لماذا أتيت بها معي ؟ .. أتراني وغبته



أن أدفن في صدرها أحزاني ؟ ..

حين أضأت النور ، أخذت نفساً طويلاً وهي تنهد في خلاص ..  
كان الشعور بالطريق يعضها .. وفي البيت يلبس طمثنائها ..  
ارتعت على ، تقعد بالصالة ، وراحت تأمل الصور المشدودة في الحيطان  
صور ملونة رسمتها أيام أن كان القلب صيباً ..

غمغمت فجأة وهي تلفت إلى ، محاولة أن تختق الصمت قبل أن يتمدد :

— انت الى راسم الصور دى ؟

— أبوه .. تعجبك ؟ ..

— آه .. حلون قوى . أصل أنا باحب الرسامين .. ودايماً أروح  
لحم عشان يرسموني .. دول طيبين قوى .

وقد أجبتهما بابتسامة بلهاء وأنا أم بخلع ملابسى ، فبان على وجهها  
الضيق ؛ وارتسم في تقاطيعها لكتاب مؤلم جعلنى أشعر بالنعاسة .

وقفت فجأة وهي تسأل :

— فيه هنا أكل .. أنا جمانه ..

كان السؤال ينحدر من فمها جائعاً .. وهي تقف في حيرة طفلة في

الثامنة عشرة ..

اهتز قلبي وغمغمت :

— ما أفكرش فيه .. لكن أنزل أجيئك ..

كنت قد خلعت القميص والحذاء .. وبقيت بالبنطلون . [فقالت :

— لا .. خليك أنت وأنا أنزل أجيب ..

أعطيتها نقوداً وأضأت لها نور السلم وأحسست براحة وأنا أغلق  
الباب وراءها ..

تمددت على فراشى وأنا أشعر بالخلاص . وتمنيت أن تذهب بالنقود  
ولا تعود .. لكنها عادت ..

طرقت الباب ففتحت لها ..

كانت تضيء إلى صدرها عدة لفافات .. وقد انخرجت شفتاها الرقيقتان  
عن بسمة سعيدة .

أخذت تمد الطعام على المائدة الصغيرة .. وتملأ أكواب الماء ..  
وكان من الواضح أنها مبتهجة بما عمله . وأن الشعور بالبيت يملأ  
نفسها بالظهر ..

فككت حزامها . وفتحت أزرار فستانها الضيق .. فبانت رقبته  
وجزه من صدرها .. ثم جلست إلى الطعام ..

وجلست أمامها أرقبها ..

كانت تأكل في بساطة .. وصدرها يبدو من فتحة الفستان بلا حرج  
والبسمة الصافية تضيء وجهها . فبدأت أن الذى يملأ صدرى وهم ..  
وأن حزنى فقاعة كبيرة سوف تنفجر لو لامست هذا الصدر ..

\*\*\*

عدت إلى فراشى ..

جاءت وجلست إلى جوارى فى صمت ..

مددت يدي لأمسك يدها ، فسحبته من يدي فى تدلل .. وهو

تغمغم :

— يظهر أنا مش عجباك ..

قالت ذلك وهى تفرس عينيها القلقتين فى عيني .

قلت لها وقد أخرجتني ملاحظتها :

— أبداً .. من قال كده .. أنت قورة وظريفه .. بس أنا بأفكر

فى حاجات تانيه شغلانى .

— لا . . انت مش عايزنى . . لو كنت عايزنى ما كنتش تخلىنى  
أنزل أشتري الحاجة .

— ياشيخه متبقيش عبيطة . مش انت اللي قلتى .

— لا . . برضه . .

كان من الواضح أنه ليس لدينا ما يمكن أن يقال .. فلدت يدي  
وجذبته إلى جوارى ، فتكورت في حضنى مثل قطة دافئة . . ولقت  
ذراعها حول عنقي .. ودست بها الرقيق في في ، وأغضت عينيها .

\*\*\*

في تلك الليلة طلبت من الأثاث الصغيرة أن تخلع ملابسها .. كل ملابسها  
لكنها رفضت ..

كانت قد تلاشت في صدرى بكل حرارتها .

وعندما طلبت منها أن تخلع ملابسها بقت ..

نظرت في عيني بحيرة وتردد وهي تغمغم :

— مش ضرورى . . كده كويس . .

لكننى عدت ألح .. فأصرت على الرفض ..

قالت لى :

— علشان خاطرى بلاش ..

ولكن رفضها زادنى تشبها برغبتى .. وحين بدا لها أن ذلك يضايقنى

قالت فى همس :

— طب أخرج بره وأنا أقلع ..

وخرجت وأنا أبتسم فى استغراب . . بعد لحظة ستكون كلها حقيقة

بين يدي .. ما الفرق فى أن أرفع أناعن الحقيقة أغلفتها . . أو ترفعها هي ؟



ومن الداخل جاء في نداؤها خافتا كواء ضعيف .. فدخلت .. كانت  
ملابسها مطوية بعناية وقد دستها تحت الوسادة .. لكن طرفها كان ظاهرا  
وقد انسحب الفطاء على صدرها وهي ممددة في الفراش ..  
قلت لها :

— أطفئك النور ..

— زى ما يعجبك .. ا

أطفأت النور وأنا ما أزال أفكر .. لماذا لم تخلع ملابسها أمامي؟

ذبت الرغبة فتمددت في سكون .. وأخنت أحق في السقف .

عندما أشتري الحب تمتلئ بالكآبة نفسي ..

أدرت وجهي وابتمست للأثني الصغيرة في ود ا .

كانت رافقة إلى جوارى صامتة .. عيناها الواسعتان مفتوحتان في

امتداد .. وفيها مطبق ..

كنت أبحث عن كلمات أقول لها بها .. أتى أعطينا ليلة كثيفة ..

لأتى إنسان مبهم .. وعمل الحب عندي معقد وغير ناجح ، لأتى

لم أعرفها من قبل .. وقد لا أعرفها من بعد ..

لكنني كنت متأكد من أنها لن تفهم ما أعنيه .

وضعت يدها الصغيرة على رأسي وتحللت شعري بأصابعها وهي تسأل:

— دائما تفكر كده .. بتفكر في إيه ؟

خيمتها إلى صدري وأنا أغغم :

— ولا حاجة .. أنت بتصحى الساعة كام ؟

— أنت تصبحى كام ، أنا مش مهم .. أقدر أقوم فى أى وقت  
— لا أنا بأصحبى متأخر .. حوالى تسعة كده .  
— طيب .. حا أبقى أصحيك .. تحب تمام دلوقت .  
— يمكن أناام .. تصبحى على خير ..

\*\*\*

أغمضت عيني .. لكننى ظلت أفكر .. وظل الليل ينسحب وأنا  
ما أزال مؤرقا .. كنت بمدأ بجوارها .. ساكنا .. لكن أفكاري  
بقيت صاحبة ..

كان يؤلمنى أن الآتى الصغيرة حاولت أن تمتنع .. وكانت غلصة ..  
وقد قالت لى فى مودة :

— أنت طيب قوى !!

ومن خلال كلماتها البسيطة وضح لى كل ما تلاقيه من عذاب ..  
وقد أحسست بها تقوم من جوارى فى تسلل حينها خيل لها أننى لم  
شعرت بها تشعل نور الصالة وهى تتجه إلى الحمام ..  
أخذتني خوإطرى قرة طويلة .. وعندما أفتت كان نور الصالة  
ما يزال مضاء .. ولم تكن هى قد عادت إلى جوارى بعد ..  
وقد تساءلت طويلا عما تفعله فى الحمام .. ثم غلبنى الإعياء فنمت .  
حين أناام .. أترك نافذتى مفتوحة .. النور يدخل فى الصباح  
فيروقتنى ..

دخل النور في سريري فصحوث .. كانت الالشي الغريبة تنتنفس إلى  
جواري في هدوء .. تركتها وذهبت إلى الحمام ..

في وسط الحمام وجدت قميصها الداخلى .

كان مفسولا .. وبنسور اعلى مة مد خشبى تعودت أن أهمله في الحمام

وكان القميص ممزقا .. سدت خروقه قطع مخلقة من القمش ..

وقفت أحدى في وجوم وإجابة أسئلة الأمس تطرق رأسى ..

أدركت الحجة ، لماذا لم تخلع ملابسها أمامى ..

ثم استدرت بسرعة .. وعدت إلى الفراش .. وانحنيت على الفتاة

وأخذت أغرس عيونى في ملامحها وأنا مبهور ..

رفت أهدابها برهة .. ثم فتحت عينيها وتطلعت في وجهى وهى

تبتسم في دهشة ..

— إيه إلى صدك بدري كده .. ؟

— صباح النور يا قطه ..

قبلتها وأنا أغغم :

— أنا زعلان منك .. حانزل دلوقت أجيب حاجة من تحت .. اوعى

تزلى لحد ما آجى .. وبعدين حاقولك أنا زعلان من إيه ..

ارنديت ملابسى والقطه فى فراشى تأمبنى بفضول ..

لوحت لها ييدى وأنا أهم بعة ذره البيت :

— متزليش يا قطه لحد ما آجى .. مش حاقب

وأغقت الباب ورائى ..

لاحظت أن مشاعرى تتفتح وأنا أقول للالشي الغريبة : يا قطه .

وقد امتلأ قلبي بالراحة وأنا أشرب البساطة من وجهها ..  
في الطريق أحسست بالهفة لأن أعود سريعاً .. وقد دلفت إلى محل  
يبيع الملابس ..

قلت للرجل :

— عاوز هدوم داخلية ..

— مقاس كام ؟ ..

أشرت الفتاة التي تجلس على الكيس وأنا أغغمم :

— مقاس القموره دي تقريبا ..

نظر إلى الرجل وهو يتسم .. ثم وضع أمامي مجموعة من العلب  
لأختار ..

ووجدتني أنتقي بدقة .. وبرغبة .. وقد راودني ذلك الشعور بالسعادة  
الذي يمارسه الرجل حينما يختار لامرأة يحبها ..

حملت لفافة الملابس وعدت إلى البيت ..

فتحت الباب فواجهني الصمت .. كانت القطة قد غادرت البيت ..

\*\*\*

من يومها ولفافة الملابس الداخلية في زاوية من دولابي .. أراها

دائماً .. وأذكر القطة .. وأغمغم في أسي :

— إخص عليك يا قطة .. أنا زعلان منك ..

لكن القطة لا تعود ..

5

خلع الرجل ملابسه ثم وقف عارياً ..

لم يكن يخطيه سوى سروال باهت قد أحاط بنصفه الأسفل .. وكانت زوجته الصغيرة الشاحبة تفرغ على الأرض محتويات صندوق خشبي متسخ . أشياء غريبة عديدة ومتناثرة .. أسياخ من الحديد ، وقطع من القماش الملون ، وزجاجة بها جاز ، وعدد من الأكواب النحاسية . وبضع قطع من الفلين ، ولفة من الحبال .. وألحواق معدنية لامعة .. وخمسة كتابات صفراء صغيرة .. ومسامير .. وثعبان رفيع . !

كان الوقت منتصف الشتاء .. وكان يشيع في الجو .. خدر لذيذ من ذلك النوع الذي يجعلنا نحس لحاف ، بأن لامتاعب لدينا .. وأن السماء راضية عنا أتم الرضا .. !

وصفق الرجل يديه ، ثم نفخ فيهما ، وراح يدلك بكفيه الكبيرتين عضلات جسده النحيلة المشدودة ثم اتصب في وقفته اتصابة شديدة ، وانحنى إلى الأمام قليلاً ، ثم وقف .. كانت بطنه قد اختفت .. ابتلعها داخل جسده ، مخلفاً مكانها فجوة كبيرة تتسع لغلام صغير .. !

ونظر الرجل من أسفل عينيه إلى الجرح الدائر ، وكأنما أرضاه عديم الكبير ، فقد لمعت بسمة خافتة على وجهه ، ثم دار حول نفسه . وانحنى على الأرض . وتناول كتكوتاً بين أصابعه .. وبأصابعه الأخرى ، أخرج ..



من مؤخرة الكتكوت بيضة .. ثم ألقى بالكتكوت بعيداً ، وأخرج  
من البيضة كتكوتا .. ثم ألقى بالبيضة .. وأخرج من مؤخرة الكتكوت  
الجديد بيضة ثانية .. ١

فعل ذلك في سرعة ، بين دهشة الناس في الحلقة ، ونظرات زوجته  
النحيلة الواقعة خلفه ترمقه في ود .. وألقى الرجل بالكتكوت والبيضة  
جانباً وراح ينظر إلى الناس ، ليرى أثر معجزاته الصغيرة في وجوههم

\*\*\*

ومن بعيد .. نظر عسكرى ناحية الجمع في فضول . ثم جذب زميله  
من كفه ، واتجهما بسرعة إلى هناك ..

كان الرجل في تلك اللحظة ، يخرج ثعباناً رقيقاً ، من صدر فتاة سمينة ،  
واقفة تتفرج وسط الجمع ، وقد ارتسم على وجهها دغز مميت ..  
ووقف الرجل مواجهاً الناس ، ودار حول نفسه ليراه كل من في  
الحلقة ، ثم طلب من أحدهم غاتماً ذهبياً وطوح به بعيداً .. حيث اختفى  
في الفضاء .. ١

وصاح صاحب الخاتم في غيظ ، لكن الحايى مديده في  
ضربة ، وأخرج الخاتم من أنف الرجل ذى البدلة الخضراء المسكوية ..  
ثم تناول بين يديه قطعة مربعة كبيرة من قماش متعدد الألوان ، وطواها  
بحركة اسطوانية ، ووضعها في فمه .. وأخذ يلوكها فترة .. ويمضغها  
بأسنانه .. وبطرف أصابعه ، أمسك بطرفها ، وجذبها إلى الخارج ..  
شريطاً طويلاً .. متعدد الألوان ..

وخلال الأفواه الفاغزة من الدهشة .. ألقى الرجل بالشريط الطويل  
جانباً في إهمال كمن ينكر أنه فعل شيئاً ذا بال .. بالرغم من أنه قد قضى  
لك ساعة ، يجذبه من فمه إلى الخارج .. ١



وصفق الرجل ، ثم عوى .. والتقط الناس أنفاسهم المبهورة وهم  
يرقبونه وهو يبتلع سيفاً من الحديد ..

كان السيف غائماً في حلقه حتى المقبض .. وقد أنفجرت شفتا الرجل  
فأصبح فيه شديد الشبه بفتحة قربة الماء ..

أدار عيناه في الجمع لحظة .. كانت نظراته جاحظة .. ثم مد يده  
وأخرج السيف من حلقه ، ووقف معتدلاً في مواجهة الناس .. وظل  
قرة يحدق في العيون المشدودة .. والسيف المصقول في يده ، يضرب به  
حيناً على صدره .. وحيناً آخر يحمله على كتفه .. ثم صاح في ثقة :

« عيسى نبي .. موسى نبي .. محمد نبي .. كل اللي له نبي ، يصلي عليه  
كان صلا عليه .. لاسحروا لشعوذة .. خفة يد وشطارة .. يتدعك اللي  
يقولك أننا بتعامل مع الجن والعفاريت .. المسألة خفة يد وشطارة  
واللي مشافينش في اسكندريه شافني في بورسعيد .. واللي مشافينش  
في بورسعيد ، شافني في دمياط .. واللي ما شافينش في دمياط ، شافني  
هنا . بنلف الدنيا عشان لقمة العيش .. »

وصمت الرجل .. أخذ يبتلع ريقه فيتحسرج في حلقه الجاف ، ثم وضع  
السيف جانباً ، وتناول لفه الحبال الغليظة . ثم وقف مواجهاً الناس من جديد :  
« دلوقت عاوز عشرة قنات رجاله .. يربطوني بالحبال .. كتاف  
حديد .. ياذن الواحد الآخر ، لازم أخرج منه قدام الناس الكرام دول ..  
وحدث هزج دام فترة .. وعلا صوت الهمس .. وغمغم الناس  
وراحوا يبحثن حولهم . عن عشرة من الفتوات ..

وخرج من بين الجمع عشرة رجال أقوىاء أحاطوا بالرجل في تحد .  
ظاهر ، كأنما بينهم وبينه ثار قديم ..

وتناولوا منه الحبال القاسية الألياف ، وأداروها فيما بينهم حول  
جسده .. ولم تمض برهة ، حتى انتهوا من ربطه بإحكام ..

وانتصب الرجل بمجأله ، وأخذ ينظر إلى الناس في ضراعة وهو  
يهتف في تحمّرج .

« كلبه راجل شريف .. مش حتحركوا من هنا قبل ما أفك نفسي .  
ياذن الواحد القهار .. تفك الحبال وتهار .. مساعدة للراجل الضيف  
أحسن من المال الحرام .. واللى له نبى يصلى عليه .. كان صلوا عليه ..  
ودلوقت قبل ما أفك نفسي ، عارز أشرف شهامة الرجال .. اللى  
يحب النبي بناه يحط إيداه على صدره . ويمدها فى جيبه .. ويطع اللى فيه  
النصيب .. والتدل يتفرج بلاش .. والأرزاق على الله .. ،  
وأوما الرجل النحيل العارى المقيسد ، إلى زوجته قدالت بين  
الصفوف ، ويدها وعاء من الجلد ، راحت تدفع به تحت أنف كل  
واحد . ليخرج لها اللى فيه النصيب ..

وأفاق الناس من الدهشة المبهورة . ونظر العسكريان حولها فى  
سرعة .. كانا قد نسيا نفسيهما ، فتحركا فى ارتباك .. وبلا إدراك ، مضيا  
يدفعا الناس نحو الطريق وهما يصيحان فى حزم :  
— إمشى يا جدع انت وياه بلاش تجمروا وأور نصب ..

\*\*\*

بعد قليل .. كان الميدان الصغير قد خلا من زحام الخلق .. وكانت  
المرأة واقفة تنظر إلى الوعاء الفارغ فى ذهول . وكان زوجها يحاول جاهدا  
التخلص من قيوده . وقد لمت على جسده الأصفر العارى حبات العرق ..  
وكان بعض الأطفال قد وقفوا خلف الأشجار . يدفعون برؤوسهم  
الصغيرة من بعيد ، ليرمقوا الرجل وهو يحاول الخروج فى صعوبة  
من الحبال . ويصرخ فى زوجته كي تساعد ..

وفى الجو .. كان ما يزال يشيع ذلك الخدر اللذيد ، الذى يجعلنا  
نحس لجأة ، بأن لا متاعب لدينا .. وأن السماء راضية عنا أتم الرضا !!

الناحية

في أول عمل بالحكومة ، اشتغلت مدرسا للرسم ، بمدرسة تابعة للتعليم  
الحرفي قرية تبعد ثلاثين قرشا عن المدينة ..

كانت المدرسة بناء فضفاضا ، تحيط به حديقة جافة الأشجار ،  
في آخرها مكنة للطحين .. وأمام المدرسة كانت تمر التربة التي تشق.  
القرية نصفين .

كنا في الصباح ، من أيام الشتاء المشمسة ، نجلس نحن المدرسين  
أمام المدرسة نرقب الشمس وهي تغمس سلوكها الذهبية في مياه التربة  
الخضراء ، ونتابع القرويات وهن يجررن أذيالهن خلفهن على الأرض ،  
خلال التراب وقش الأرز ، وروث الحيوانات .. بينما جرادهن تأرجح  
على رؤسهن في حركة رتيبة منتظمة حتى تغيبن حوذاية أبو عبد الله .  
حيث تقع طلبية المياه .

وعندما كانت السماء تمطر في ليلة ، كانت طرقات القرية الضيقة ، تتحول  
في سرعة إلى ترع من الوحل ، يستحيل عبورها أو السير فيها على من  
كان مثنا من الأفندية .

وكان ناظر المدرسة يعتبر نفسه مسئولاً عن سلامة وصولنا إلى المدرسة  
عندما تمطر السماء .. فكان يرسل لنا عربة كلوي يجرها حمار متوسط العمر  
تقتعد الحصى المفروشة على سطحها ، وتمضي تهادي بنا خلال طرقات.



القرية الموحلة . ونحن المدرسون فوقها . يهب كل من يرانا من القروين  
واقفا في سرعة . ويلصق كفه الأيمن بين أذنه وعينه في تحية ساذجة .  
والعربة تخوض في الوحل وأطفال الفلاحين يخوضون وراءها ليتفرجوا  
على الأفندية .

وكان المركب يتعثر . ويقف في بعض الأحيان . عندما يحلو للحجار  
الشاب أن يقف عند أول سوق القرية والناس في ازدحام . ليبول  
خلال الطين والناس ، دون مراعاة لشعور الأساتذة الذين فوق العربة .  
وبلا اعتبار للجرس الذي يكون قد ضرب منذ ساعة .. والحصص  
التي تكون قد بدأت منذ ضرب الجرس !

وفي أول الأمر كانت هذه الأشياء كلها غريبة على ، وكنت أرقبها  
في دهشة .. وأعجب لزملائي . كيف لا يبدون أمامها دهشة مثل  
دهشتي .. لكنني عرفت أنهم لكثرة ما مرت بهم مثل تلك الصور .  
رسخت في أذهانهم . واختلطت بأحداث حياتهم . للدرجة التي لم يعد  
لوقوعها أمامهم أى تأثير غير عادى .. تماما . مثل الأكل والشرب  
والنوم ودخان المعسل في قهوة درويش القمراوى . التي تغرق أبوابها  
في الساعة الثامنة مساء . !

\*\*\*

بعد أجازة نصف السنة على وجه التقريب . . شعر ناظر المدرسة  
بكفاءتي .. فأضاف إلى جدولى ستة رابعة لأدرس لها الرسم  
والأشغال ..

وحقيقة أن نشوة خفية سرت في أعطافى حين علمت بقراره . لكن  
الأمر لم يخل من بعض التوجس . . فإنتى كنت قد اعتدت على الأولاد  
في سنة أولى وثانية وثالثة .. واستطعت في هذه الفصول الثلاثة

السيطرة على رغبة التلاميذ في إثارة الشغب والتمهيج .. لكن سنة رابعة كان يحتف أولادها حجيا ، وأخلاقا ، عن الآخرين .. ..  
وقد دخلت سنة رابعة للمرة الأولى وأنا مضطرب قليلا .. وأخذت أجيل بصرى في الوجوه الصغيرة التي وقفت تحمق في وجهي وعيونها تبسم في خبث ..

وفي الحقيقة ، أن الأولاد قد استقبلوني أول الأمر بروح طيبة ، ويبدو أن ذلك يرجع إلى معاملتي لهم منذ البداية ..

ولكن .. لم ينتقض أسبوع واحد ، حتى وقعت الواقعة ..  
كان في الفصل تلميذ غائب من قبل أن أبدأ التدريس فيه .. ثم حضر هذا التلميذ ..

كان منعه بجوار النافذة في آخر الفصل ، وكان الولد طويلا عريضا مفرطح الملامح تبدو على وجهه علامة الغباء الشديد ، بينما كانت ملابسه تدل على مكانة أهله في القرية .

ومنذ اليوم الأول لحضوره ، وبعد أن دخلت الفصل بخمس دقائق لم ينقطع هذا الزلزال عن طلب الذهاب إلى دورة المياه .

كان يرفع أصبعه ويصيح بصوته المتسلخ :

— أقندى .. أقندى .. أروح أتفسح !

وكنت أتركه يروح ليتفسح ، لكنه ما يكاد يعود ، وتمضي على عودته بضع دقائق ، حتى يعاود رفع أصبعه ليطالب الخروج من جديد وقد عجبت فعلا لكثرة زهابه إلى دورة المياه ، وليكنتي ساعتها

رجحت أنه من الجائز أن يكون مريضا ، فتركته ومضيت في التدريس  
للأولاد . . .

وحدث أن نظرت ناحيته لجأة وأنا أدور ببصرى في أنحاء الفصل ،  
فوجدته في جلسته بجوار النافذة . يصبوب نبلة إلى شجرة تطل على الفصل  
من الحديقة .. !

وذهلت . وصرخت فيه بأقوى ما فى من صوت :

ع أقف يا ولد يا لى فى الآخر .. إيوة لانت ..

وبوغت الولد لحاول بارتباك أن يخفى النبلة فى ملابسه .. وارتسم  
على سحته بكاء كئيب وهو يجيبنى فى توسل .

— موش أنا والنبي يا فتدى . . .

لكنتى صرخت فيه بغيط :

— اسمك إيه . . ؟

— موش أنا والنبي يا فتدى . . .

— يا ولد اسمك إيه بقولك . . . ؟

— زكى . . .

— زكى إيه . . ؟

— والله العظيم ماهو أنا يا فتدى . . .

— أنطق يا ولد . . . زكى إيه ؟

— زكى محمد . . .

— محمد إيه . . . انطق يا بنى . . .

— زكى محمد يا فتدى ..



— زكى محمد ايه .. قول الله يخرب بيتك ..

— زكى محمد بيض ١٤

— بيض ١١ ..

— موش انا والله .. دا جدى هو اللي اسمه بيض ١

وضع التلاميذ فى الفصل بالضحك ، وصرخت فيهم من أعماق رأسى  
أطلب الصمت

واتجهت نحو الولد أحاول أخذ النبلة منه ، فوضعتها فى الدرج وجلس  
عليه لينعنى من قنحه ..

وساعتها كان الغيظ قد قاضى ، وبكل ما فى ذراعى من قوة ،  
صفعت على وجهه ، ونحيته عن الدرج وقنحته ، ووجدت بداخله النبلة ،  
وبضعة عصافير جريحة ، بعدد المرات التى كان الملعون يخرج  
فيها ليتفصح ..

وقد ظلت يومها أضرب الولد وقتنا طويلا ، وعلى وجهه يرتسم  
ذلك البكاء البليد الكثيب ، دون أن تسقط من عينه دمعة واحدة ، أو  
حتى يقول آه ، بل كان يردد باستمرار :

— موش أنا والنبي يا قندى ، دا جدى هو اللي اسمه بيض ١١

\* \* \*

وفى اليوم التالى لم يحضر الولد إلى المدرسة ، واستدعانى الناظر إلى  
حجرته ، ثم أخبرنى أن العمدة غاضب منى جددا ، وشيخ البلد حاقدا على  
وأخو شيخ البلد الذى هو أبو هذا الولد ، يتمنى أن يرانى ليفرغ فى

صدرى رصاص بندقيته ، والسبب أن الولد قال لهم اننى ضربته ، لأن  
جده اسمه بيض ... ١

ولم تفلح أبدا كل محاولاتي لإقناع الناظر وأهل الولد ، بأنه كان  
يصيد العصافير في الفصل ، بل ظلوا جميعا على إصرارهم بأننى ضربته ..  
لأن اسم جده بيض .. ١

وقد قال لى الناظر يومها فى ضيق :

— وانت مالك يا أخى ... اسمه بيض ... اسمه كرتب ... ماتعله  
الرسم وبس ... هو إنت حتناسبه ١٢٠

قح

المعلم حسين .. خدعوه .. ضحكوا عليه .. خذوه من الغيظ ..  
ربطوا شرفه بشيء اسمه القفاح !  
والمعلم حسين يكاد يجن ..

وهو يضرب رأسه في حائط البيت ويصرخ في ألم :  
... يا عالم .. يا هو .. بس تولولى أعمال إيه .. ؟  
والحكاية أن المعلم حسين له بنت في الثالثة عشرة من عمرها ..  
وهذه البنت لم يستطع أن يرسلها إلى المدرسة ، لأن مواده لم تمكنه  
من أن يشتري لها حاجة التليذات .. ؟

ولذلك .. فالبنت تبقى بالبيت طول النهار ، تطبخ مع أمها ، وتغسل  
الهدوم ، وتدعك النحاس ، وتمسح أرض البيت .. ثم يبقى بعد ذلك  
من النهار ثلاثة أرباعه . فتصعد إلى السطح ..  
ولما تصعد البنت إلى السطح ، فإنها لا تنزل منه إلا بعد المغرب ، حين  
يعود أبوها للغشاء . ١ .

\* \* \*

والمعلم حسين . لم يكن يعلم شيئاً منذ البداية .. لكن زوجته قالت له  
في ذات ليلة وهو يتأم :



— بتك يا معلم بتقعد طول النهار في السطح وانت غايب ..  
والسطح ساكن فيه الجذع العازب زى ما أنت عارف .. ٤١

وليلتها لم يستطع المعلم حسين أن ينام ..  
لكنه في الصباح ، لما غادر فراشه .. كانت البنت نائمة في براءة ..  
وأهدأها تلقى ظلالاً ملائكية على ورود خفيها التي توشك أن تفتح ..  
فكظم غيظه ، وخرج إلى شغله وهو يستعيز بالله من الشيطان ..  
ولما عاد المعلم في الظهر على غير عادته ، لم تكن البنت في البيت ..  
فصعد توا إلى السطح .. وفي غرفة كمال أفندى ، الموظف بمصلحة  
الأملاك الأميرية ، كانت البنت جالسة على السرير ، وكال أفندى إلى جوارها  
يجلبأه الأبيض السكروته .. وكانا يأكلان معا ، قطعاً من التفاح ..  
وساعتها لم يستطع المعلم حسين أن يدرك ما يفعله .. فقد هجم  
على البنت الصغيرة في هدير صاخب ، وجذبها من شعرها ، ثم قفز بها  
خارج الغرفة .. وظل يدرجها بأقدامه على السلم ، حتى هبط بها إلى  
مسكنه ..

وفي المنزل ، ظل المعلم حسين يلطم خديه ، ويشد شعر رأسه .  
ويضرب بكفه على صدره وهو يصرخ في عويل مرير متقطع ،  
والنموج تفجر من عينيه :

— يا عالم .. يا مهو .. طول عمرى باعمل اللي يرضى ربنا .. عمرى  
ما عصبته .. وعلى آخر الزمن أنفضح بالشك ده .. ؟  
بنت مفجوعة زى دى تسمع على الناس ؟ ١٩ ..

\*\*\*

والمعلم حسين لم يكن يرغب أبداً في أن يسمع الناس بما حدث له ..  
وقد أراد في البدايه أن يجد حلاً للمشكلة ، بينه وبين كال أفندى ..

نصعد إليه في غرفته ذات ليلة بعد أن تعشى ، وأخذ يناقشه في الموضوع ...

ويبدو أن المعلم حسين قد احتد وهو يعرض وجهة نظره في احرصه على البنت .. فقد ثار كمال أفندي لكرامته وقال للمعلم وهو يقف إيدانا ياتهاء المراقبة :

— يا معلم حسين أنا عملت اللي على .. اعرف انت شغلك مع بنتك أنا ما أقدرش أقفل بابي في وش حد ..

\*\*\*

وقد نزل المعلم حسين ليلتها من عنده والعذاب يمزقه .. وانقردها بالبنت وقتاً طويلاً قبل أن ينام .. وأخذ يتحدثها عن الشرف، والكرامة وكلام الناس ..

ولكن البنت كانت صغيرة . وفي عينيها نغاس كثير .. وخوف غامض دون فهم ...  
وقد نامت البنت باكية .. لكن المعلم حسين لم يستطع أن ينام .

\*\*\*

وبعد أسبوع .. لما عرف المعلم أن البنت ما تزال تطلع السطح ..  
وجعلها في عامود السرير عارية .. ومزق جسدتها الصغير بالحزام ،  
ثم تركها تتلوى وتذهب إلى الشغل ..

نكسه في الليلة التالية .. وهو ينام .. قالت له زوجته . وهي تقتل جسدتها على الفراش من جنب إلى جنب :

— يا معلم حسين البنت لسه بتطلع السطح ..

وفي تلك الليلة استيقظ كل الجيران على صراخ مروع في بيت المعلم

حسين . واقحموا البيت لينقذوا البنت من بين أصابع أيها المغرورة  
في رقبتها ، وهي بين الحياة والموت ..

وصرخ المعلم حسين في زئير ممزق متهدج :

— يا ناس .. شرفي .. كرامتي .. خمسين سنة ، مجدش سمع على  
حاجه .. ونيجي بت مفعوة زي دى تخمر سمعتى فى وسط الناس ؟  
قولولى بس اعمل ايه .. ؟

وقال له الناس الطيبون :

— روح اعمل لابن الحرام ده ، محضر فى البوليس .

\*\*\*

ونام المعلم حسين ليلتها .. والامل فى محضر البوليس ، يداعبه  
بالخلاص من المشكلة .

ولما طلع النهار ، قدم بلاغا فى البوليس .. فأحضروا الشاب  
والبنت ، وسألوهما ... قال الشاب :

— هي الى بتطلع عندى .. وأنا ما اقدرش أطردها .  
وقالت البنت :

— أنا بطلع عنده عشان يجيب لى تفاح .. وأنا باحب التفاح .  
ومن زمان نفسى فيه ..

وقالوا للمعلم حسين يومها فى البوليس :

— خذ بيتك يا راجل انت .. ولبقى هات لها تفاح ، وهي معادش  
تطلع السطوح .



کتابخانه

آخر النهار ينتهى العمل . .

يعود الرجال وقد طحنهم الإنهاك . .

رؤوسهم تكون ثقيلة وكبيرة حينذاك . . وتكاد تسقط فوق أكتافهم  
وعيونهم تكون ساخنة وحمراء من البرد والصداع . .

وهم يظلون واقفين على محطة الاتوبيس إلى قلب الليل . . يرفعون  
الشمس وهمى تغيض . . ويرتجفون . . والشمس تشحب ثم تشحب ،  
السحب البكيفة الباردة تمتص حرارتها فتغيض في وهن يملأ صدور  
الناس بالثجن . ويدفع في رؤوسهم صور البيت والأولاد . . والطعام  
الساخن والسرير ، والنوم والراحة الدافئة . .

ويرمقون الأفق في إنهاك . . عند نهاية الشارع الطويل . . الطويل .  
ويدققون النظر في لافتات العربات التي تبرز بمقدماتها ، تلعب عليها حبات  
المطر ، عند أول الطريق . . ينتظرون ستة وعشرة وثلاثين وخمسة  
وعشرين ...

\*\*\*

الشمس تلتقي ظللاً وأهنة على أتوبيس واحد وعشرين وهو يدور  
حول المحطة لينطلق في شارع فواد ، وعندما قفرت إليه كان الجرم الخلفي



من العربة يكاد يسقى ..

في الركن المقابل لى خمسة شبان .. يرتدون الجلابيب ، ويثرثرون  
وعلى ملاحهم فرحة أسياسة ... ثرثرتهم صاحبة .. ثم يضحكون ضحكا  
له صليل .. وينادون بعضهم بأسمائهم ويضربون أكتافهم بأيديهم  
وهم يلقون بالفكاهات ..

\*\*\*

كان من الواضح أن حديثهم قد بدأ قبل أن أقفز إلى العربة .. ولكننى  
لاحظت أنه يدور حول موضوع واحد أو اثنين .. كانت الكلمة  
الواحدة تلشع بهم إلى أكثر من حديث يشترك فيه كل منهم وهو  
يلوح بذراعيه ..

من خلال حديثهم عرفت أسماءهم .. عبده وانور وحسين وأحمد  
ومحمود .. كان عبده عرض الكنفين ، متوسط الطول .. يغطى صدره  
بملابس ثقيلة .. قال لجأة ، وهو يغمز بعينه :

— يس .. زى ما قلت لكم كده .. كان جننى .. والضرب شغال ..  
.. وكنا بنضرب كلنا .. وبعدين بصيت ملقيتوش .. قلت هرب ..  
أعمل إيه ... ١٩

وضحك الثلاثة ..

وابتم عبده ، وهو ينظر إلى محمود فى خبث .. كان من الواضح أنه  
يعتمد السخرية منه .

وصرخ محمود فى عنف :

— قلت لك ألف مرة يا عبده متقولش كده .. عيب .. ميصحش

انت عارف اتى مهربتش ..

وغنم عبده فى مكر :

— لا... أنا مش عارف . أنا بصيت ملقيتكش جنبى .. قلت  
لازم هرب ..

ولم يكمل عبده حديثه ، فقد اندفع محمود فجأة ، وغرس أصابعه  
فى رقبة راح يضغط فى غيظ وهو يغتم :

— يا عبده أنا قلت لك مش حيحصل طيب لو قلت كده تانى ...  
وتحسج الكلام فى فم عبده . وانطلقت من بين شفثيه غرغرة كأنها  
يوشك أن يلفظ روحه ..

\*\*\*

وتدخل واحسن الركاب عريض الكتفين ليخلص عبده من يدي محمود  
وذارت كل الرؤوس فى العربة إلى الورا تابع ما يحدث دون تعليق .  
وجذب حسين محمودا حتى أبعد عن عبده .. فوقف يحدق فى الناس  
والغيظ يحنق وجهه ..

قال وهو يكاد يبكي :

— قلت له أنا مرة أنا مهربتش .. وهو عارف كويس .. كنا  
بضرب سوا .. كنا .. وبعدين الواد أنور قال لى الحق بيتكم انضرب  
يا محمود .. أنا عالى طار .. طلعت أجرى ع البيت ..  
أنى كانت نائمة هناك لوحدها .. عيالة ..

انهدلت من الشظايا والطوب الى بقى يحى فى جتى .. والرصاص

الى بيرش حواليه وأنا طالع أجرى .. رحت لقيت نص البيت طائر  
شفت أمى وأنا تحت قاعدة على السرير فى تانى دور مش قادره تتحرك ،  
زى ماتكون متعلقة فى السما .. ووشها مخطوف .. البيوت اللى قدامنا كلها  
لطبقت .. طلمت فوق المهد والطوب وشلتها وجيت بهسا على مصر  
عند خالى ..

وهو عارف كده .. قلت له الحكاية ألف مرة وبرضك يقول هرب  
وانزوى محمود فى ركن العربة وأخفى وجهه فى ذراعه .. وأخذيكي

\*\*\*

ساد الوجوم الجميع ..

أخذ الركاب يحدقون فى صبيته مأخوذ .. رفع محمود وجهه فجأة  
وصاح فى وجه عبده ..

— إنت خدت إيه يعنى .. آه .. خدتلك رصاصتين .. وإيه يعنى  
ما أنا رجليه أم .. كلمهم شظايا ..

ورفع محمود جلبابه ، فكشف عن ساقيه وقديبت فيهما أثار الجروح  
وأخذ عبده يحدق فى ساقى محمود .. كاللندور .. يدا كأنه لم  
يتوقع كل هذا الذى حدث من محمود .. تزحزح من مكانه فى بطة مرتبك ،  
ومديده القصيرة ووضعها على كتف محمود المرتفع .. يدا ساذجاً مضحكا  
وهو يصلحه .. ويحاول أن يشعره بكل العطف والمودة والتدم .. بكل  
المشاعر المتضاربة التى تراوده .. وأخذ يغغم فى ارتباك :

— لامواخذه يا محمود .. متزعش ، كأنش قصدى .. الله .. إنت بتزعل  
بسرعة .. أنا باهز بس .. كنا بنضحك يا أخى .. حقك على ..

و شَبَّ عَلَى أَطْرَافِ أَقْدَامِهِ ، ثُمَّ جَذَبَ رَأْسَ مُحَمَّدٍ وَدَقَّهَا فِي صَدْرِهِ  
وَقَرَسَ فِي شَعْرِهَا وَقَبْلَهُ فِي خَنَاطِصِ صَوْتٍ مَسْمُوعٍ ..

وَرَفَعَ مُحَمَّدٌ رَأْسَهُ وَهُوَ يَفْهَمُ :

— أَيْ مُتَكَسِّحَةً .. يَعْنِي كُنْتُ أَسِيْبًا تَمُوتُ لِوَحْدِهَا ..

— لَا يَا أَخِي .. تَسِيْبًا إِذَا .. حَدَّثَاكَ كَدُّهُ .. أَنَا عَارِفٌ إِنَّكَ

مَهْرَبْتَش .. مَحْدَشٌ فِينَا هَرَبٌ أَبَدًا .. أَنَا كُنْتُ بِأَهْزَرِ . بِلَاشِ  
نَهْزَرِ يَاسِينْدِي .. حَقَّكَ عَلَى .. إِضْحَاكَ بَقِيَ ..

وَنَظَرَ مُحَمَّدٌ إِلَى عَبْدِهِ فِي صَمْتٍ ، وَجَفَفَ دُمُوعُهُ فِي كُمِ جِلْبَابِهِ ..

ثُمَّ ابْتَسَمَ ..





لم تفكر نعمات في أن تغلق الباب .. لكنها بعد أن دخلت في فراشها ، وجذبت الغطاء حول جسدها ، وأحسّت بوقد البحر الذي يلتهب في داخلها .. قامت في سرعة ، ثم جذبت الباب بعنف وأغلقته .  
وعندما عادت إلى فراشها ، ولذعتها برودته ثانيا ، بصقت ناحية الباب في حق ، ثم لازقت تحت الغطاء وهي تغمغم بكلام قبيح  
ولقد حاولت الاست نعمات أن تنام ، فأعطت للباب ظهرها ، ودست رأسها تحت اللحاف وأغضت عينيها ..

لكن النوم بالرغم من ذلك لم يطبق جفونها .. وقد ظلت تحمل جسدها وتلقيه على الفراش من جنب إلى جنب .. وتمدد ذراعها فتحضن بهما الفراغ الأسود الذي يملأ السرير حولها .. وأخذت تنهد في حزن ثم استدارت إلى الحائط بعنف ، وأعطت للباب ظهرها من جديد ..  
وعندما شعرت بالضيق يخنق صدرها ، نهضت إلى الباب لجذبه بحدة ، ثم تركته مفتوحا وعادت إلى السرير ..

وبعد ساعتين ، كانت نعمات ما تزال صاحبة .. 11

ومن نهاية الصالة المربعة ، تسلل خلال الصمت صرير باب يفتح ..  
وزحفت على البلاط خطوات أقدام .. فقفزت نemat فجأة ، وقعدت في  
السريـر ، وأرهفت أذنيها ..

كانت الخطوات قد توسطت الصالة ، وكانت تلمس الأرض في حذر  
وتردد .. شعرت نemat بأن كيائها كله قد إستحال إلى أذنين !!

وأمام الباب توقفت الخطوات ..

الباب مفتوح .. . قالت نemat في نفسها .. الباب مفتوح والدنيا  
ليل .. لا شيء الآن يستطيع أن يعوقه ..

وتلاحقت أنفاس نemat ، حتى لقد خيل لها أنها في تصعدها تكاد تخلع  
صدرها .. وتقلصت أصابعها على غطاء السريـر ، وسرت في جسدها  
رجفة هزت كل خليجاته .. وعادت أذانها تثشب بالصمت من جديد ..  
لكن الأقدام واصلت المشي ، وظل حفيف احتكاكها الخافت يوش في  
أذني نemat في نغم يرعش أعماقها ..

مضى يا نemat .. مضى وابتعد .. الجبان .. لم يدخل .. لم يتسلل  
إلى الغرفة في حذر .. لم يطل الوقوف أمام الباب ..

وشعرت نemat برغبة قاسية في البكاء .. لكن الدموع كانت محتبسة  
في صدرها وحلقها .. وتكاد تخنقها ..

وأجالت نemat عينيها في العتمة المحيطة بها ، ثم أرسلت من صدرها  
أمة جافة ، تركت في الصمت خشخشة كأوراق الخريف ..

وخلال الظلة رفضت نemat اللحاف إلى آخر السريـر ، ثم أخذت  
تحمل جسدها ، وتقذف به من جنب إلى جنب .. وملت ذراعيها

البضئين المليئين فاحتضنت بهما الليل البارد حولها . وأعطت الباب ظهرها  
محاولة أن تنام ..

وعند الفجر على التقريب . . حينما قرعت إسفلت الطريق عجلات  
أول عربة . . كانت نعمات ما تزال صاحبة . . !

\* \* \*

في الصبح دخلت نعمات إلى الحمام . . وما كادت تقترب من الحوض  
حتى أجفلت . . وصعدت إلى حلقها مرارة كراهية ليلتها الفاتنة . . لكنها  
بالرغم من ذلك نظرت إلى عباس في رغبة . .

كانت رأسه تحت الحنفية ، والماء يغمر شعره ووجهه ؛ فانفلتت من  
جواره وهي تهمس في دل ..

— أزيك ياسى عباس . . !

وفي الواقع أن عباس لم يسمعها . . فقد كان الصابون يملأ أذنيه . .  
إلا أن حمرة الخجل صعدت إلى خديها . وسخن رأسها وأذنيها . . وقد  
ضايقتها جداً أن عباس لم يرها . . بل أنه أيضاً لم يحاول الرد على تحيتها . .  
ومدت نعمات يدها فتناولت السلطانية ثم تسالت من خلفه . . وارتدت  
شيئاً فوق منامتها . . وبعد قليل كانت تدرج على السلم وهي تدعك خديها  
يكفيها الباردتين ، لترطب حرارتهما . .

وعندما عادت الست نعمات ، ويدها سلطانية الفول ملالة . . كانت  
ما تزال تسترجع في ذهنها كلمات المعلم مدبولي ، صاحب مطعم « السعادة  
الأبدية للفول والطعمية » . !

الرجل اللثيم ، مد يده وهو يناولها السلطانية ، ولمس صدرها بأصابعه  
ثم غمز بعينه . . ونعمات تعرف تماماً معنى غمزه . .

فقد كانت تستهدف قوامها كل صباح ، عند انصرافها بالفول . منذ  
عام . . قبل وفاة زوجها المرحوم مخلوف بشهرين على التقريب . .

واند تجاهلت نعمات غمرة المعلم ، بدبول هذا الصباح . . كما تجاهلتها  
في كل الاصبحة التي فانت ، على الرغم من أن أعماها كانت تنفض في  
نشوة خاطفة سريعة فور تلقها . .

وما يزال يتردد في أذني نعمات وهي تصعد السلم . صرير كليات الرجل  
الحديث وهو يتابعها في مضيا من أمام المحل :  
— لسه يا حلو مآتش الأوان ؟ .

ونعمات تذكر ذلك كله ، فيشيع في جسدها خدر لذيد . . وتنساب  
في صدرها أمنيات تدغغه . . وتتم لنفسها وهي تدلف من الباب :

— أمال سني عباس ماله ؟ . . مدهول على عينه ليه ١٩

\*\*\*

وحين انتهت نعمات من توضيب الفطور على المائدة الصغيرة ذات  
الكروبي الواحد في ركن الصالة كان عباس قد انتهى من ارتداء ملابسه  
وقد شمر أكمامه فبانت سواعده السمراء المفتولة . . وقد وقف أمام المرأة  
الصغيرة يمشط شعره الأسود القصير . .

ومضت قرة خرج بعدها عباس يشيع من حوله شبابا وقوة . .  
فأحست نعمات عند مرآه ، برجفة تدغغ أعطافها . .

وعندما جلس إلى المائدة بعد أن ألقى عليها بتحية الصباح ، ووجهه  
إلى الأرض . . وقفت في ركن الصالة ترقبه وهو يأكل ، قدفع أمامه  
بطبق الزيتون الأسود ، وتقرب منه الجبن ، وتملأ كوبه الماء . .

وتشعر خلال ذلك بسعادة عذبة تهدد قلبها ..

وحين انتهى عباس من طعامه ، وجمع حاجياته في يده ، وراح يتنقذ على السلم إلى الطريق .. مدت نعمات رأسها من خلال الدرابزين ثم صاحت :  
— مـى عباس .. متبقاش تأخر الضهر ..

ولما انهمكت بعد ذلك في شئون البيت ، وانكبت على الملابس تغسلها .. كانت ما تزال لديها القدرة على التفكير في عباس !

\*\*\*

وعادت نعمات بذكرتها إلى الواقع الفائق الذى نسج خيوطه زوجها مخارف بأعوامه الحسنيين .. ومرضه الذى كان يقعده في البيت لا يغادره ، منذ اليوم الذى دخل بها فيه ..

وتكتسب نعمات ، وتزفر ، ويزرد وجهها ، ويزرق ، ويمحمر .. وهى تحاول خلال الصفحات الحشنة التى سطرها زوجها من فريها مخلوف .. حتى مات منذ شهر ..

وفكرت نعمات في الجفاف الذى عاتته خلال الأيام التى قضتها وحدها في البيت الذى ورثته .. والعذاب الذى ظل يؤرقها ويمرّق جسدها على الفراش الطرى ، في الليالى السود الموحشة .. قبل أن يحىء عباس من البلد ليقم في بيتها بغرفة من الغرف .

وهى حين تفكر في اللحظة التى رأت فيها عباس أول مرة .. مع جده .. حين قدمه لها على أنه ابن خال زوجها المتوفى وسوف يتعلم في الجامعة .. ولوصاها برعايته خلال السنين التى سيقضيها في مصر ..

وقد قال لها جده في ذلك اليوم أنه سوف يرسل لها بين كل حين وحين قرشين ... مصاريف عباس .. حين تفكر نعمات في ذلك .. وتستعيد

في ذهنها صورة عباس وهو يرقل في بذلته الجديدة اللامعة القماش ،  
بفتوته وشبابه الرقيق البسيط .. تعود الى قلبها تلك الرجفة المذيذة  
التي تسرى في أعطافها كالخدر .. وهي تذكر أنها منذ اللحظة الأولى التي  
رأت فيها عباس .. قد قدرت في نفسها أنها لا بد سوف يحصل لها مع  
هذا الولد أمر .. ١

لكنه اليوم .. وبعد خمسة شهور .. ما يزال عباس مثل اليوم  
الأول الذي جاء فيه مع جده ..

وكل الذي حدث ، أنه في الشهر الأخير .. اعتادت أن تسمع خطوه  
وهو يقطع الصالة .. ويتوقف عند غرفتها في عتمة الليل .. فتظل تمد  
أذنيها إلى الباب .. وتشوف بكل حواسها .. تتوقع بكل خلجاتها أن  
ينسل إليها ..

ونعمت قد قدرت كل شيء .. وعملت حسابها .. وانتهت إلى أنها  
خلاص .. لم تعد تستطيع الاحتمال ..

وهي كانت متأكدة تماما ، من أنه يفكر فيها .. فهو يقوم كل  
ليلة عند المنتصف .. ويلصق أذنيه بالباب .. ويقطع الصالة جيئة وذهابا  
في حذر .. ثم يعود إلى غرفته ..

والذي ظل يحدث طول الشهر الماضي كله .. لم يزد عن ذلك ..  
لكنه لم يحاول أبدا أن يدفع الباب ويدخل .. أو ينسل منه .. فهو  
يطل عليها خلال الصمت ، ثم يعود في هدوء إلى غرفته ليروح في النوم ..  
ويتركها تحتضن الفراخ الأسود بذراعيها البيضاء .. وتحمل جسدها  
وتلقيه على الفراش .. وتعطي الحائط ظهرها .. وتقوم فجأة حين يضيق  
صدرها ، وتفتح الباب .. ثم تعود فتخلقه في عنف يمزق صمت الليل .. ١

لكن نعمات في ليلة كانت متعبة ، فنامت في أول الليل .. ولم يكن  
عباس قد عاد إلى البيت بعد :

وفي منتصف الليل .. على التقريب .. تقابلت نعمات ، ثم فتحت عينها ..  
كان الظلام يسود الغرفة .. لقد نامت عندما كان الليل ما يزال في  
أوله .. لكنها تذكر أنها تركت باب غرفتها مفتوحا .. إنه الآن مغلق  
الدنيا حر .. والهواء ساكن .. والباب كان مفتوحا ..

والليل قد أوغل الآن يا نعمات .. لا بد أن عباس قد جاء ..  
وقد شعرت نعمات أن قلبها قد ارتجف حين فكرت في عودة عباس  
وقفزت من سريرها في خفة .. وفتحت الباب .. ومن نهاية الصالة  
المربعة ، كان النور يرحف على البلاط من أسفل باب غرفة عباس ..  
ودرجت نعمات على بلاط الصالة حافية .. عباس يذاكر .. المسكين  
.. يسهر الليل لاصقا وجهه بالأوراق .. لا يفكر أبدا في شبابه ..  
لا يدخل السينما ولا يتفصح مثل باقي التلاميذ ..

وملت نعمات رأسها وألصقت أذنها بالباب ..  
سمعت في الغرفة هسا غريبا .. توقف قلبها عن الدق .. وأحتبست  
أنفاسها في صدرها ... وانحنى في لهفة ودست عيناها في ثقب الباب ..  
وسدت نعمات فمها بيدها لتحبس شهقة كانت تتطلق ..  
لم تصدق نعمات عيناها .. لكن الحقيقة كانت واضحة ..

الملعون !!

والتصبت نعمات واقفة ..

كان الغيظ يأكل قلبها ..

فكرت في أن تدفع الباب بجسدها فيموى على السرير بالداخل ؛

ويحطم الاثنين خلفه ..

في الأول لم تفكر نعمات في أنهما لاثان .. لكنها دقت النظر ..

كان السرير أمام الثقب تماما ..

وتهدت نعمات في غيظ ، وانحنت على الثقب ودست عينها فيه

من جديد .

كان الهمس الخافت يخرق أذنها .. وقلبها يضرب صدرها بعنف ..

فيعلو على صوت إرتظام السرير بالخائط ..

وشمرت نعمات بحلقها يحف ..

الجبان .. !

لماذا كان ساكنا من البداية ..

أحسنت نعمات بعينها تبحظ .. وتبحظ .. حتى لتوشك أن تنزلق

في الثقب ! ..

وانقرست أطرافها في خشب الباب ..

وتخاذلت أقدامها .. وارتجف جسدها من إحصها حتى القمة ..

ومن الداخل .. لا تقطع الهمس المبحوح فجأة .. ثم يباد السكون ..



شعرت نعمات بالدوار ..

كان رأسها يلف .. وعيونها ساخنة .. كأنما فيها نار .. ولم  
تستطع أن تبتلع ريقها .. كان فيها جافا من الداخل كقطعة من الخشب.  
تهددت في عمق ..

— الصبح أخلى عيشته هباب ..

.. قالت تحدث نفسها :

— الجبان .. 11 ..

ومضت تخرج أقدامها في تخاذل إلى غرفتها ..

— آه .. الندل .. لازم يعزل من الصبح ..

كان يمور بداخلها شعور غريب .. لم تألفه .. ربما تحاول أن  
تخضع مشاعرها ..

خيل لها أنها تود لو أنها ظلت ترقبها وقتا أطول .. لكنهما انتهيا .

من أين جاء بها عباس ؟ .. لا تذكر نعمات أنها قد شاهدها قبل ذلك

كانت ملابسها ملقاة على الكرسي .. وبجوارها حقيبة يد بيضاء ..

— من الصبح .. لازم يشيل هدومه ويشوفه حمة تانية يقعد فيها .

شعرت نعمات بالنعب ، فاستندت على باب غرفتها .. ثم تحاملت

على نفسها وألقت بجسدها على السرير .

وأحست نعمات بالفراش الطرى يدغدغ جسدها .. فتعددت على

ظهرها ، وأغلقت عينيها ..

— آه... العيظ .. ا

همست في حرقه ..

— الأعمى ... ا

لمستطردت في غيظ ..

— جابها منين الحمار ده .. ا

وبسطت ذراعيها البيضاوتين على الفراش الطرى حول جسدها .

ثم تنهت في راحة .. وأخذها النوم ..

السكان

أكل السكلان مخ المغلم شعلوق ، فهو يزور الروشتات باسمه  
وبأسماء مختلفة ، ويعثر نقوده على صبيانه الذين يدورون طول النهار  
على الأجزاء خانات ، يتحايلون للحصول على أكبر كمية من أقراص  
المخدر اللعين ..

وعندما يصحن المغم شعلوق القرص ، ويصبح مسحوقا ناعما في  
راحة يده ، يرتشفه بأنفه في نهم غريب ، وتنوب عيناه في أشباح  
الكائنات .. وتصبح الدنيا عنده مجرد صرمة قديمة لا تساوى منه  
عناء الإلتفات .. لذلك فهو يرفض في كبرياء شاهخ أن يشتغل في مهنة  
من المهن ، وقد وورث عن أبيه ثروة كبيرة حصلها الرجل من تجارة  
الخشب والصفيح والخردة ومختلف الأشياء .. وورث عن أبيه أيضاً  
مزاج السكلان ..



ومنذ اليوم الأول حين سرت في شهاب أنفه تشعيرة النهم الغريزيا  
من ذرات السكلان ، أخذ يضرب بأقدامه شوارع البلدة وهو منفوخ  
كالديك وقد ملأ المخدر كيانة كله بالغرور العنيد .. منذ ذلك اليوم ، أذ  
المعلم شعلوق إباء صارما ، أن ينزل من هيلان العنجمية ليقوم بعمل من  
الاعمال .. لكن المعلم شعلوق لم يكن وحيداً في الحياة ، فقد كانت له  
زوجة .. وله أقرباء .. وكان لزوجته أقرباء أيضاً .. ولما وجدت  
زوجته أن الجنيات المائة المتبقية من الإرث، سوف تتحول إلى مسحوق  
أيضاً يساب في أنف زوجها على مر الأيام، سافت على الرجل أقرباءه  
وأقربائها ، ليقنعوه بأن يبحث له عن شغلانة ، يرى فيها بالقرشين ،  
تضمن من وراثتها قوت العيال ..

واجتمع الأقرباء حول المعلم وانقضوا .. واجتمعوا ثانياً ومعهم  
كل الناس الذين يعرفون المعلم . وانقضوا .. وساقوا عليه مشايخ البلدة  
وأولياؤها .. حتى نزل الرجل عن عناده أخيراً وقرر أن يفتح بالقرشين  
دكان مايفاتوره ..

منذ ذلك اليوم بدأ المعلم شعلوق ينظر إلى المسألة بعين الجد .. لقد  
تورط في الوعد ، وعليه أن يسير فيه حتى النهاية ..

نزل ماشيا من شبرا الخيمة، وسار يخلق بعينه في شارع شبرا العموى  
على الجانبين .. وعندما عاد آخر النهار كان قد وجد الدكان .. قال لزوجته:  
— حته عال قوى يازكية .. في الشارع العموى في وسط البلد .. على

ناصية شارعين .. وجاني على طول جدع شربتي ابن حلال ، اتوسط  
لى عند الراجل صاحب الهاره لحد ما خدت الدكان بثمانية جنيه .. مبسوطه  
ياستى .. قومي اصحني لى القرص ده خلينى أروح أفق مع النجار ..

\*\*\*

وفى خلال شهر ، كان الحشب والمسامير والزجاج ومعدات الدهان  
قد ملأت كلها أرض الدكان .. وكان المعلم شعلوق قد سحب كرسيه من  
دكان جاره المعلم حموده الشربتي ، وقعد به على الناصية يراقب النجار  
وصبيانهم وهم يحيلون الحشب والمسامير لى رفوف ينظّمونها حسب  
مقاسات الجدران ..

كان المعلم شعلوق قد زار كل محلات المائيفاتورة التي فى البلد .. وتأمل  
تفاصيلها ، ونظام رفوفها وبتارينها .. وفى خلال هذا الشهر الطويل  
العريض ، قرر المعلم فى نفسه ، الرسم الذى سيكون عليه الدكان .. وأنهى  
قراره لى النجار ..

وبدا العمل فى الدكان على قدم وساق .. كان المعلم يقوم من النوم فى  
الصبح ، فيفطر ، ويصحن القرصين .. ويسحب جسده واحدة ، واحدة  
حتى يصل لى الدكان قبل الظهر بقليل .. فيجلس على مقعده يرقب  
العمل والعمال ..

ولم يمض أسبوع حتى أوشك العمل بالدكان على الانتهاء .. كانت  
الرفوف قد استقامت على الجدران .. والحاجز الذى يفصل بين البائع  
والزبائن ، قد ملوى من ناصية الباب اليمنى لى آخر الدكان من الداخل ،  
فاصلا الفراغ لى قسمين ..

والمكتبة العالية التى أوصى بصنعها المعلم ليقعد عليها يقبض الملووس

من الناس ويراقب العمال ، كانت قد انتصبت هي الأخرى بجانب الباب وخلفها المقعد العالي ..

وكانت أرض الدكان مليئة بنشارة الخشب .. والبرينة الكبيرة المنتصبة في الواجهة قد ابتلعت ثلاثة أرباع الباب .. ولم يدينه نص الدكان شيئاً سوى الدهان وأثواب القماش .. التي قال المعلم لكل من تحدث معه في أمرها ، أنه سوف يحضرها من أكبر المخازن في مصر ..  
وفي تلك الليلة نبه المعلم شعلوق على النقاش أن يتوم بأعمال الدهان من الفجر ، حتى يمكن الانتهاء في وقت قريب ..

\* \* \*

في اليوم التالي .. عندما اقترب المعلم شعلوق من الدكان قبل الظهر يقليل .. وجد زحاما من الخلق ، وزعيق وصراخ .. فانحشر بين الناس حتى وصل إلى الباب ..

كان المعلم حموده الشربلى هائجا .. فهو يرفع ذراعيه التحيلتين ويلوح بهما وهو يصيح :

— ده موش نقاش .. ده حمار ابن حمار .. علشان يدهن عشرة سقى من الباب ، يتوم ينغمطلى المدكنة والبرطانات ، ويرش البويه طالع نازل بالشكل ده .. يخسرلى أكل عيشي .. بقى موش حرام يا ناس .. ؟

كان النقاش فاتحا سائيه على سلم مزدوج ، وجردل البويه بين قدميه ، والفرشة الكبيرة في يده .. وأمامه بالضبط قطعة من الباب مدهوطة ، لا تزيد فعلا عن العشرة سنتيمترات .. بينما كانت واجهة محل الشربلى



مليئة ببقع الطلاء الزرقاء التي تناثرت أثناء الدهان بشكل مبالغ فيه ..  
فبدت على الواجهة الزجاجية كالبحر في وجه مريض ..

وكانت مكسوة العصور والرخامة، والأواني النحاسية اللامعة قد أصابها  
الردأ أيضاً .. حتى ليخيل إليك أن النقاش كان يقصد أن يدهن دكانه  
الشربلى بطريقة جديدة . بدلا من دكان المعلم شعلوق . ١

وما كاد المعلم شعلوق يمد رأسه ليتدخل في المناقشة المحتدة بين المعلم  
حموده وجمهرة الناس ، حتى صرخ المعلم حموده في غيظ :

— يا معلم شعلوق .. لا مؤاخذه .. إنت راجل غشيم .. إنت جايب  
واحد حمار ..

وبدت المعلم شعلوق .. وأحس بأن كبريائه قد طغنت أمام كل  
هؤلاء الناس .. وحنخت في رأسه كل العروق المليئة ببخار السكلان ..  
وانعجز شعوره القديم بالمهانة ، لإقدامه على الشغل في عمل من  
الأعمال .. وصرخ في عنجنية محنقة دون أن يترك للمعلم حموده فرصة  
لإكمال حديثه :

— أنا راجل غشيم يا معلم حموده ؟ .. طب على الطلاق بالتلاثة ،  
لأنا عامله شربات .. إنزل يا جددع متدهنش .. ١

\* \* \*

وفي أيام ، تحول دكان المانيقاتورة إلى دكان عصير .. هدم المعلم  
شعلوق كل ما بناه .. وأعاد التوضيب والتنظيم . ودهن ونظف واشترى  
رخام ومكن عصير وأكراب ، وكراسى وضعها في جانب من الدكان ..  
واشترى برتقال وقصب وجزر وطماطم وكل ما يصلح للعصير ..  
لكن المعلم شعلوق لم يكن يعرف شيئا في هذا الكار الجديد ..

فاشترى البضاعة غالية .. وقد سحب كرسيًا وقعد على واجهة الدكان  
مهموما ..

لقد أحس بأنه تورط في هذا العمل الجديد .. كانت المانيفاتورة  
شغلانة واضحة . وكان يستطيع التغلب على أسرارها .. لكن شغلانة  
العصير هذه لا يعرف لها أولًا من آخر .. وتجار الفاكهة أولاد حرام ..  
ضحكوا عليه ..

كان مكتئباً .. حزيناً .. قد تدلت رأسه بين كتفيه كأنما يحمل  
الدنيا كلها فوق ظهره .. ولم تعدل مزاجه كل أقراص السكلان التي  
شتمها طوال النهار ..

راوده الشعور بالوحدة .. أحس بأنه مهجور . وبأن المعلم حموده .  
والصبيان والأقرباء ، وكل رجال الحمة يضحكون عليه من وراءه ..  
ويمزأون منه ..

خبط رأسه في غيظ وغمغم في ألم :

— خلاص .. ضعت يا شعلق .. السكلان أكل مخك زى  
ما ييقولوا .. انتهيت .. بقيت مسخرة في وسط الناس .. !

وعندما رفع شعلق رأسه ، كان المعلم حموده واضعاً يده النحيلة على  
كشقه في مودة .. وقد ابتسم في وجهه وهو يهيمس :

— يا معلم شعلق .. متآخذنيش .. الزعل ما بيدومش . والناس  
لبعضها .. واحنا جيران ياخويا .. ومتآخذنيش برضه ، شغلانة زى  
دى جديدة عليك .. أنا تحت أمرك .. تجار الفاكهة اللي أنا بتعامل  
معاهم حاسر فرك بيهم واحد واحد .. وا ..

وانتفض الماد لم شعلوق واقفا وقد اربد وجهه ، وصرخ في المعلم  
حموده في حق :

— هو أنا هفية يامعلم .. أنا راجل برضه .. أنا أفهم في كل  
حاجة .. ، تحب أبيع فيه سمك دلوقت .. على الطلاق بالثلاثة أعملها ..  
كان المعلم شعلوق ينتفض من قة رأسه إلى إخص قدميه .. وقد ركب  
التشنج كل حواسه وزاغت عيناه ..

وقد انسحب المعلم حموده إلى دكانه في صمت .. وهو يضرب كفًا بكف  
.. وغنم وهو يتلفت حوله في حيرة :

— لاحول ولا قوة إلا بالله .. الراجل ضاع خلاص .. انتهى ..  
السكلان أكل غنه ..



كنا في أول السنة ، ولم تكن الدراسة قد انتظمت بعد في المدرسة  
لأن أكثرنا لم يدفعوا المصاريف ..

وكنت أنا وجمال وكامل ، قد دفعنا القسط الأول .. لكن حمدي  
لم يكن يملك نقوداً ليدفعها ، فهو يعيش وحده في مصر بثلاثة جنيهات  
يرسلها له أبوه أول الشهر ..

وأنا وجمال وكامل وحمدي بلديات . وجمال وكامل أولاد عمي ..  
وأبو حمدي ، يعمل غفيرا في زراعتنا ..

وقد كنت أسكن مع أولاد عمي في شقة بشارع توال في الدقي ..  
وكان حمدي يسكن في غرفة ضئيلة بزقاق موحل ، بحارة الميضة ..

كا ، حمدي في فصلنا .. لكنه لم يدخل المدرسة معنا في أول السنة ،  
لأنه لم يدفع المصاريف ..

كنا نذهب إلى المدرسة كل يوم في الصباح فنجد نصف الفصل غائبا ،  
فنحضر حصتين ، ثم نزوع باقي النهار في شارع عزاد ، أو قصر النيل ..  
وكانت لنا في الليل سهرات غاشة .. وفي تلك الأيام كان يأسرنا  
نوع من الكسل المريح اللذيذ .. كسل لا عتاب بعده ولا لوم .. فلم  
تمكن لدينا مذاكرة .. كما أننا كنا نتقبل الدروس بشيء من اللامبالاة  
.. ونعزل ذلك في نفوسنا ، بأن لنا زملاء غائبين ، من حقهم أن  
يشاركونا في هذه الدروس .. لكننا في الواقع .. لم نكن نفكر  
بهذا القدر في زملائنا !

وقد كان حمدى يتمشى معنا فى شارع فؤاد .. وفى بعض الليالى كنا ندعوه للسهر معنا فى سينما أو كباريه ، فكان يجىء ، ويظل طوال الوقت واجماً ..

وأحياناً كنا نأخذه ، ليسهر معنا فى البيت .. لكننا لم نكن نفعل ذلك أبداً فى يوم الخميس !

فى ذلك اليوم من كل أسبوع ، كانت تزورنا وفاة .. وتنام معنا تلك الليلة ، وتقوم فى الصباح فتحضر لنا الفطور ، وتغسل ما اتسخ من ملابسنا طوال الأسبوع ، ثم تطبخ لنا آكلة الغذاء ، وتنام معنا بعد الظهر .. وعند المغرب تلبس ملابسها وتخرج ، لتدوب فى شوارع المدينة وكان كل منا يعطيها خمسين قرشاً ..

\* \* \*

وفاء فى العشرين من عمرها ، لكنها تبدو فى الثلاثين ... وبالرغم من ذلك فهى تحتفظ بقدر من جمالها لم ينله الذبول .. وأنت تحسن بطراوتها عندما تسكور فى حضنك وداعة ، كقطعة مقرورة تطلب الدفء . وفى عيناها تحسن طيبة بريئة ، لم تسكن تفسدها تلك الشراسة التى رسمتها ظروف حياتها على وجهها ..

وقد كنا جميعاً نحب وفاة .. وكانت أسعد أيامنا تلك التى تزورنا فيها .. ونتمنى لو أنها بقيت معنا طوال الأسبوع . ولم يكن بإمكاننا أن ندفع لها ثمن هذا البقاء .. كما أنها لم يكن باستطاعتها أن تمنحنا لحظة واحدة بلا ثمن ، لأنها تعول أمها وأختها الصغيرة التى فى المدرسة ..

قلت لها مرة وهى نائمة معى :

— أنت يا وفاء بنت كروية ، باين عليك من ناس طيبين .. إليه  
اللي مشاك في السكة دي ؟

وأذكر أنها قد خفضت عينها ، ودخلت بوجهها تحت الغطاء .  
وغمغمت بكلام غير مفهوم ..

ولما أعدت عليها السؤال في إلحاح ، قالت :

— الدنيا عايزة كده !

— طيب ما كانش فيه شغلانه غير دي !

فسكتت قليلا ثم همست :

— أبو يامات .. وأصل أنا ما انقلبش ياسى يحيى .. ما رحتش  
مدرسة .. !

وحين حاولت أن أطلع الصمت الذى سادنا التفتت في وأحاطت  
رقيبتي بذراعها ، ودست رأسي في صدرها ، فصاع مني كل ما كنت  
أرغب في أن أقوله ..

\*\*\*

في ظهر أحد أيام الخميس ، جاءنا حمدي يطلب كرايسنا لينقل منها  
ما فاته .. ولم تكن وفاء قد جاءت بعد .. وكنا نشعر في ذلك اليوم  
بسعادة غامرة تجول خلال مشاعرنا .. وكانت نفوسنا مليئة بذلك  
الاحساس الذى يدفعنا لنغرق من سعادتنا على من حولنا .. كنا  
نضحك في جوار .. بينما حمدي يبدو كئيبي .. فمرضنا عليه البقاء  
ليتغذى معنا ، فقبل ذلك بعد تردد قليل وقد بدأت تتبدد كآبته ..  
حين جاءت وفاء ، قدمت لها حمدي بصفته زميلا في المدرسة ..  
وبلدياتنا .. ولكن جمال ابن عمي لم يسترح حتى انتهز إحدى المناسبات  
وقال لها إن حمدي ابن غفير زراعتنا .. وأنه لم يدخل المدرسة ، لأنه  
لم يستطع أن يدفع المصاريف ..

وفي تلك الليلة لم تكلم وفاء مع جمال أبداً .. ولم تبسم في وجهه ..  
وفي صباح الجمعة أيقظتنا وهي تقدم لنا الفطور .. وبعد أن انتهينا  
من الأكل طلب حمدي الكراديس ليخرج ؛ لكن وفاء أصرت على  
أن يبقى ليتغذى معنا ، فبقى ..

وقبل المغرب لبست وفاء وامتعدت للخروج .. وحين غرزت  
المشط في شعرها بعد أن سرخته للبرة الأخيرة ، نظرت إلينا في  
انتظار النود ..

وكانت تلك اللحظة شديدة الوطأة علينا ، فقد كنا في آخر الشهر .  
وتعودنا التي جاءت من البلدة قد نفدت ، ولم نكون نرغب أبداً في أن  
نؤخر لوفاء تودها ..

لمتحيث بها جانباً ، وشرحت لها الموقف في تردد .

وجمت فترة ، ثم غمغمت في حشجة :

— معلمش مايجراش حاجة .. أبقى آخدم بعدين ..

\* \* \*

في صباح السبت ، وأنا ذاهب إلى المدرسة ، لمكتشف ضياع ساعتى  
التي أهداها إلى أبى ..

قلبت البيت كله دون أن أعثر لها على أثر ..

وقد كتمت الأمر فلم أخبر به جمال وكامل ..

وبالنسبة لى . لم أستطع أبداً أن أحصر الشبهة في أحد .. وما كان

يمكننى أن أظن أن وفاء قد أخذتها .. وكذلك الأمر بالنسبة لحدى ..

وقد مضى أسبوع بعد ذلك لم تحضر وفاء خلاله كعادتها في يوم

الخميس .. وانظرناها بعد ذلك أسبوعاً آخر .. لكنها لم تأت ..

وقد بدأ أولاد عمى يفسرون غيابها بشئ التتولات .. وظللت أنا



صامتا .. وقد حاولت أن أتصور ما يمكن أن يفعلاه لو علما  
بضياع ساعتى .. وما شككت لحظة واحدة فى أنهما سيبلغان البوليس  
فوراً ، ويتهمان وفاء بسرقتها ، ضارين بلحظات الهناء التى منحتنا إياها  
مرض كل الجدران ..

\* \* \*

فى ليلة عدت مبكراً ، وجلست أنذكر ..  
قالتلى وفاء ..

— ساعتك حلوه قوى .. جايبها منين ١٩  
فنزرت إلى ساعتى يومها بفخر وأنا أقول لها أن أبى قد أهداها لى:  
فامتدت يدها النحيلة وخلصت الساعة من حول رسغى ، وليستها ،  
ومضت تأملها فى يدها بإعجاب .. ثم سألتنى فجأة ..  
— بتعمل بيها إيه ..

— يا شوف فيها الوقت ...  
— لكن مهمه عندك قوى ؟

— طبعا .. عشان هدية من أبويا ..  
ووجدتها تتطلع فى وجهى لحظة بوجوم .. وهى تخلع الساعة من  
يدها وتضعها على المائدة .. ثم تهبط فى قلق ..  
وفى تلك الليلة لاقطع حديثها عند هذا الحد ، فددت يدي وأطفأت  
النور .. وفى الصباح لم أذكر الساعة ، واكتشفت ضياعها وأنا فى  
طريق إلى المدرسة .. وبالرغم من ذلك فما استطعت أبداً أن أجزم بأن وفاء  
قد أخذتها ..

\* \* \*

مرضت بعد ذلك .. فأقمت فى البيت أسبوعاً لا أغادره .. وقد عاد  
جمال من المدرسة ذات يوم وهو يصيح :

— يحى .. يحى .. الواد حمدى دخل المدرسه النهاردة .. متعرفش  
متين جاب المصاريف ؟

ولم أستطع أن أجيب على سؤال جمال .. لكن كلامه فى الحقيقة  
جعلنى أفكر ..

وبالرغم من أنى كنت أرجح أن وفاء هى التى أخنت الساعة ..  
إلا أنى لم أحاول الظن بأن حمدى هو الذى فعلها ..

\*\*\*

انقضت على ذلك ثلاثة أسابيع ، لم تعد وفاء أبدا خلالها ..  
وقد حرت فى تفسير غيابها .. وتمنيت لو أنها تعود ..  
وقد عادت وفاء فعلا .. بعد ذلك بأربعة أيام .. وكان أول شيء  
فعلته أن انتجت بي جانبا ، وأخرجت من صدرها ساعتى ..  
ووقفت أنظر إلى الساعة فى ذهول وأنا أقلب فى رأسى كل ما دار به  
من أفكار .. وغمغمت وفاء بمسحرجة فى تلك الليلة ونحن ننام :  
— أنا كنت عاوزة اثنين جنيه ضرورى .. فأخذت الساعة  
ورهنها .. كنت عارفة إنى لما حاشتغل بقية الأسبوع حاقدر أفك  
الرهن وأجيها لك تانى .. لكن ما قدرتش أعمل كده المدة اللى فاتت ،  
مكاش فيه فلوس .. اضطريت إنى ما جيش ..  
ثم ممست فجأة :

— مش حمدى عزل من سكنه القديم ، وسكن معانا .. فى شقتنا ..  
قفزت بسرعة من جوارها ، ومضيت أحقق فى عينيها بذهول ..  
وقد بدا لى خلال عينيها الباسمتين كل شيء واضحا ..

في الغربة

في الأول ظهرت أنا بين يدي امرأة تذاك ظهري .. وكنت عارياً .. وكانت المرأة ممسوخة ليس لها ملامح ... لكنني أحسست بها ناعمة اليدين ... تمر بهما على ظهري فتخدر كل مشاعري ! ..

ومن الطبيعي أننا كنا في بيت .. وكان البيت غريباً عني .. أحسست بذلك عندما جلست بخواطري في أنحائه ..

وكانت بجوارنا امرأة أخرى .. وفناء .. وكاننا ممسوختين .. بلا ملامح أيضاً ! ..

وملايسى ملقاة على السرير في آخر الغرفة ، وطفل صغير لا يستطيع المشي ، يعبث بها ..

وقد حاولت النهوض ، لكن المرأة لفت ذراعها الطويلة البيضاء حول رقبتى .. وجاءت المرأة الأخرى وربت على كتفى .. وكانت الفتاة واقفة تنفرج .

وتسرب خوف مقبض إلى قلبي .. فتخلصت من يمينهن في شدة ، ثم وقفت .

ولمع الشر لجأه في عيون النساء ، وأحسست كأن النار تندلع منها لتحيطني .. فقفزت في سرعة ، وتناولت البنطلون من على السرير ..



وسمعتى أقول لهم فى اضطراب وخوف :

— ليس معى تقود أخرى... لم تصرف مرتباتنا بعد ..

وضحك المراتان فى حشجة .. وأخذت المرأة التى كانت  
تدلكنى ، تقرب من البنطلون فى قسوة فظيعة ، فضمته إلى جسمى  
بقوة وحرص ..

كنت أعرف أن به كل أشياء ..

وتفهمت المرأة الأخرى بلذة النصر وهى تجذب زميلتها من ذراعى  
إلى السرير .. ثم أخرجت كل أشياء من جيوب الطفل الصغير ! ..

ومشى الذعر فى أنحائى وأنا أرقبهم وهم يفتحون المظروف الذى يضم  
حاجياتى... وكان يمزق العجز... كنت جامداً لا أستطيع الحركة  
كأنما زمانى قد توقف... وكان يعصر قلبى خوف شديد ..

ولاحظت أنى نظرت حولى فلم أجد الفتاة بالفرقة .. كنت أمس  
من ناحيتها بعض العطف .. وبحوارى ، رأيت فجأة ، رجلاً لم يكن قد  
ظهر فى البداية .. كان طويلاً عريضاً ، غير محدود المعالم ، رجلاً بلا  
تفاصيل .. وكان بارداً كالثلج .. حاداً كندية قاسية ! ..

\*\*\*

وأخرجت النساء بطاقتى الشخصية وأخذن ينظرن فى صورتى الملتصقة  
بداخلها .. ويقرأن الكلام المكتوب بحوارها ..

كان بين دفتى البطاقة صورة أخرى كنت أحفظ بها .. نظرن إليها  
أيضاً بتمعن وضحكن فى غمز واضح ، ثم ألقين بها فى وجهى باسمزاز ! ..  
ملأنى إحساس بالرغبة فى البكاء فقد كانت صورة البنت التى أحباها ،  
فى بلدنا ..

وكان بالمظروف أشياء أخرى كثيرة ، كانت تثبت أمام عيوني  
واحدة واحدة ، فأعرفها .. وهم يعثون بكل الأشياء ، ويلقون بكل  
ما ليس ينهم في وجهي ..

وفي الحقيقة ... لقد إختلط على الأمر ، ونسيت عما يعثون ...  
كان بالبطاقة بضعة طوابع بريد ، وورقة من فئة العشرة قروش ..  
وقد إحتفظن بها .. أما باقي الأشياء ، فقد طوحن بها في وجهي وأثارت  
أقف في جمود ..

وإمتلأت رأسي بالأوراق المتناثرة حتى كدت أختنق .. أحسست  
أنها تمنع عن عني الهواء ..

ورأيت مندبلي يطير .. ورسالة بلا مظروف ، تلقيتها من أبي ..  
لست أدري متى ..

ولم تجد النساء النقود .. وبدأ الغيظ يطفو على وجوههن ..  
وأخذت المرأة التي كانت تدلكني ، قلبي الحبر ، ثم دسته في صدرها  
ثم أنحنى الرجل على الأرض ، وتناول صورة حبيبتي وقبلها ، ثم دسها  
في جيبه ..

وقد فعلوا ذلك دون أن يعنوا ، حتى بالنظر إلى ... كما وجدتي  
قد تلاشى بالنسبة لهم !

\*\*\*

غيمت رأسي لجأء .. وغشيتني فترة من ظلام تلاحقت خلالها أنفاسي  
ولم أعد أستطيع الرؤية ، مثل قطع يأتي لجأء في شريط سينمائي .. ثم  
هادت الصور بضعه إلى الظهور من جديد ..

ووجدتني بين ذراعي المرأة ذات الأيدي الناعمة ، تدلكني ..  
وكنيت عاريا .. وكانت المرأة الأخرى تربت على كفتي ، والفتاة  
واقفة تفرج .

كانوا يقولون لي في همس مبحوح :

— ستعود ثانيا .. أليس كذلك .. ستعود دائماً .. ستنظف  
لك الغرفة .. وستشعر في المرة القادمة كأنك في بيتك .. تأكد من هذا ..  
ستحس بالراحة معنا ، ولن نجعلك تحتاج إلى شيء .

كان صوتهن ناعما .. ينغرس في أذني كأبرة طويلة مصقولة ..  
وكنيت أومي . لمن برأسي في موافقة ، وأما بلا إرادته ...

\*\*\*

ألبوني ملابس ، قطعة ، قطعة ، وهم يتحسسون أجزاء جسمي في  
جشع كنت أحسه .. والبت أيضاً كانت تتحسس جسمي بأصابعها  
الرفيعة الصغيرة .. وقد شعرت بأن لحمي يتقلص لوقع يدها الرفيعة عليه  
وضاقت أنفاسي ، واحتبست في صدري ووقني .. وتمنيت لو  
أستطيع الخلاص ..

وقالت المرأة الثانية لي :

— ستعود مرة أخرى .. أليس كذلك ؟ ..

وأجبتها في سرعة :

— نعم .. نعم سأعود .. فقط أريد أن أمضي الآن ..

فابتسمت في وجهي وربتت على كفتي في رقة شديدة ، وهي تقودني إلى  
الباب .. بينما كانت تخفي ساعة يدي في صدرها ..



وقد رأيتها وهي تضع الساعة بين يديها .. لكننى لاحظت أنى  
قد تجاهلت ذلك ... وقد دهشت من نفسى جداً حينذاك ! ..

وما كاد الباب يفتح ، حتى انطلقت على الدرج الخشبى الذى يقرقع  
وأنا ألث .. وفى الطريق أيضاً ظلت أعدو وأنا أنظر ورائى ..  
لم أكن أصدق أنى قد تخصمت منهم ..

وطوال الوقت كنت أشعر بالغربة والوحشة والخوف .. وكان  
الطريق الذى أعدو فيه غريباً .. لم أكن أعرفه .. والبيت من  
الخارج نسييت أن أنظر إلى شكله .. وكان كل شىء فى ذلك الحى مجهولاً  
بالنسبة لى وغير واضح المعالم ..

والطريق كان يسقط بغزارة . ويتدفق فوق جسمى الذى يمرق خلاله .  
وكان الظلام تميزه انبثاقات البرق .. والطريق بلا بداية أو نهاية ..  
كنت أعدو فى رعب ممزق ، وأنفاسى تنقطع .. والخوف  
يقتلع قلبى ويهبط به إلى أسفل أقدامى التى تطوى حفراً شارح المجهول !.

\* \* \*

وجدتني لجأء فى ميدان صغير .. أعرفه جيداً .. فوقفت ألتقط  
أنفاسى وقد أضاء الفرح قلبى ..

ومضيت أرقب الناس فى الميدان بشغف .. كانوا جميعاً فى ثياب  
العمل التى يبدون بها دواما فى ساعات العودة فى آخر النهار .. وكانت  
المصاييح فى الدكاكين على جوانب الميدان تلعب .. ودهية ، تقلى  
أقراص الطعمية . وتناولها للكثيرين الذين يمدون أيديهم فى لهفة بالنقود  
ورأيت رجلاً أعرفه .. نظر ناحيتى ثم مضى .. ناديت فلم يلتفت

إلى .. فتملكنى إحساس بالضيق ..  
وانحدرت في الشارع الملتوى .. المليئة أرضه بمصاصه القصب وورق  
الحس والسريس والبرسيم .. وقد وقفت في وسطه عربات الأجرة  
القديمة ..

ونظرت ناحية «الكبي» بائع المرطبات .. لم أكن أشعر بالعطش  
كما أن الجو كان بارداً .. لكنني اندفعت نحوه في سرعة ، وطلبت كوباً  
من الخروب .. 1

ومضيت في الشارع الرفيع أتجشأ في راحة عريضة ، وقد شاع في  
جسمي الاطمئنان .. كان في داخلي إحساس عذب بأن هذا الشارع  
سيؤدى بي في النهاية إلى مكان أحبه ..

وكان الناس يسرون حولي هادئين .. وادعين .. فشعرت برغبة  
شديدة في الحديث معهم .. كانت وجوههم مألوفة لدى ...

\*\*\*

كان خوفي قد تبدد تماماً ..

أخذت أدير عيني في جوانب الطريق والشوق يكاد يفز من قلبي ..  
كل هذه الامكنة أعرفها .. الأشياء جميعها ليست غريبة علي ..  
هذا السمكري القصير ، قد أصلح لنا حنفية في البيت في وقت ما .  
وذلك المسكوجي في دكانه الأبيض . بجوار بائع « الدندمة » أذكر أن  
إسمه عثمان ، وأن أبي قد أرسلني إليه مرة منذ مدة بعيدة ، لسبب تلاشي  
من ذاكرتي الآن ...

حتى الماسورة الكبيرة في منتصف الطريق .. والماء يسيل حولها  
في الحفرة الكبيرة ، لم تكن جديدة علي .. كانت مرشمة في ذهني  
منذ زمان مرتبطة بذلك الشارع كلما ذكرته 1

ووجدتني وأنا أسير في خفة ، أمام مفرق ثلاثة طرق .. فوقفت  
أأمل الطرق الثلاثة في عمق ، كأنما أستعيد تاريخها في ذاكرتي .. لكن  
الحقيقة أن كل ما يتصل بها راح يفتق في رأسي لجأه - بلا مقدمات ..  
فالشارع إلى اليمين يؤدي إلى التربة في آخر البلد .. وباب الحرم ..  
والكازينو الذي طالما قضيت ليالي فيه ..

وقفز في صدري فرح غامر أنعشتني عندما ذكرت أن في ذلك الشارع  
نفسه تقيم الفتاة التي أحبها . إلى اليمين وأنا ذاهب إلى الكازينو ..  
ورودتي الرغبة في السير من هناك .. إلا أن شيئاً خفياً كان يشدني  
إلى الشارع الذي في الوسط ..

شيء في دمي ، دفعني إلى الأمام ..

وبدأت أسير ، وحين جارف يقود خطواتي .. شعرت أن بإمكانني  
إغلاق عيني ، دون أن يحيدني ذلك عن الهدف الذي أسير إليه .

وأخذت أطلع إلى المقهى الصغير الضيق .. والزقاق على اليمين ..  
ودكانة ماسح الأحذية « عم سيد » على اليسار .. وأبو حلاوة الجزمجي  
.. والحراة المحاطة بالسور الخشبي المتهلم .. وموقف العربات ..  
وحسن المكوجي ..

ورقعت طويلاً أنظر إلى حسن ، وقد تدافع أمام ذاكرتي تاريخ  
طويل مليء بالأحداث ..

كنا نلعب معاً ونحن صفار .. عسكر وحرمية ، وبطل وحيية  
والصاية ، والنحل والبلى والطرة .. ألصاف صغيرة محدودة ، ولكنها  
كانت تسعدنا ..

ورحت أنا المدرسة وعرفت علوما كثيرة .. وسافرت إلى  
بلاد مختلفة ، بنقود وبغير نقود .. واشتغلت ، وبعيت شهوراً  
من غير شغل .. اشتغلت كثيراً .. نجاراً ، ورساماً ، ومدرساً ،  
وكانها ، ونقاشاً ، وبائع خردوات .. وظل هو يرافق حتى فتح هذا  
الحل الصغير ..

وخيل لي أن بسمه عميقة حلقت في وجهي وأنا أذكر هذا التاريخ ..  
وكان حسن يقوم بعمله ، يمرر المكواة على فستان أزرق .. شعرت نحوه  
بالفة مبهمة !

ورأيتني أحاول الاقتراب منه في رغبة .. كنت أريد أن أعانقه ..  
أن أعانق فيه الماضي كله ، لكنني سمعت ورائي فتاتين يتحدثان .. ولم يكن  
الصوت غريباً علي ، فنظرت خلفي .. كانت إحداهما البنت التي أحبا ..  
سمعتها تقول لصاحبتها :

لقد سافر حبيبي منذ وقت طويل ، قال لي أنه ذاهب ليصنع  
مستقبلنا .. إنني حزينة لغيابه .. وقلبي ينفطر من الشوق .. آه ..  
قالت هذا ومسحت من عينيها شيئاً بمنديلها الرقيق ، فردت عليها  
صاحبتها في همس :

— لا بد أنه يفكر فيك كثيراً .. وعندما يعود سوف يتزوجك .  
ورأيت حبيبتى تبسم وهي تسمع ذلك ، ثم أومأت لصاحبتها وهي  
تدلف إلى الشارع المغمم المؤدى لبيتهم !  
وشعرت كما تقي أذوب من الحجل .. ففي الحقيقة أنني لم أكن أفكر  
في حبيبتى بمثل هذا المقدار !

ووجدتني أندفع لجأة وراها لألحق بها .. لكن قدى تعثرت بشيء  
فوقفت في بلاده أحمق فيه ..

\*\*\*

مضى وقت طويل .. أخذت أمضر خواطري لأعرف كنه ذلك  
الشيء الذى جذب لانتباهى وعافنى عن متابعة حبيبى .. ثم تبين لى أنه  
إعلان كبير ملون ، لفيلم أجنبي ، ملق على سطح رقعة داكنة من مياه  
المطر ، فى إحدى حفرات الطريق .. ورأيت وجهى يطل من خلال  
الماء ، فبدأ غريباً بالنسبة لى !  
تملكنى الخوف لحظة ..

فأخذت طريق فى سرعة إلى جانب الشارع ، ثم انعدت إلى اليسار  
وماكدت أخطو بضع خطوات فى الشارع الجديد ، حتى لاح لى بيتنا  
والتور يلعب فى نوافذه ..

\*\*\*

ووجدتني لجأة بين إخوتي الصغار وقد أخذوا يحتضنون ساقى بشغف  
ويتساقون أكتافى .. وأمى ترقبى فى فرح عميق .. وأبى يراقب أسمى  
فى فرحها وهو يتسم فى غبطة .. وإخوتي الكبار يتشاجلون بالقراءة  
حتى لا يظهر ضعفهن حين يبدن فرحن بعودتى .. !

وشعرت أننا جميعاً قد غفقتنا طمأنينة هائلة ، حين ضمنا البيت الصغير  
معا .. وسمعت فى جو المكان طنيناً وهمساً .. وحديثاً مشوشاً وقلبات  
.. وسرى فى جوانحي خدر لذيذ وأنا أسمع لهم يقولون : لن  
تسافر ثانية .. ستبقى معنا يا أخانا العزيز .. سننظف لك غرفتك منذ  
الصباح .. ونعيد ترتيب كتبك .. ولن نجعلك تحتاج لشيء ..

\*\*\*

وكانت أختي الصغيرة تلتصق بي ، وتمسك أنفي ..  
لكنني فجأة .. تأملت بلا مبرر .. شعرت بأن صدري ينقبض دون  
سبب ظاهر .. !

ثم امتز كل شيء في رأسي .. وسادني ظلام كثيب ..  
وحين نقضت رأسي بقوة ، تيقظت .. فوجدتني بسريري في  
الغرفة الضيقة التي إستأجرتها منذ يومين .. في البيت الغريب ..  
وكانت صاحبة البيت تجلس على العتبة الخارجية مع ابنتها وأختها  
يثرثن بصوتهن الحاد المسلوخ ..  
كان الصداح يفتت رأسي .. وتلاحقت أنفاسي وأنا أستعيد كل  
ما مر بي خلال اللحظات التي تمتهنا ..

\*\*\*

وقد جلست بعد ذلك طويلا في العتمة ..  
ومضيت أفكر في حبيبتى .. وفي بيتنا .. وفي بلدتنا النائية ..  
جلست أفكر في غريبتى ..

# الإنسان

« إلى صديق الذي لا يبرقني .. »

كنت أرتجف بحبه حين يجمعنا حديث الصحاب .. لم يكن يعرفنى  
هل حدة .. فقد كان يعرف كل الناس .. وكان يملأ قلوبهم وعيونهم .  
كان يكتب والناس يقرأون .. الناس البسطاء المضيئون كانوا  
يقرأون له .. وبعضهم لم يكن يعرف القراءة .. لكنه كان يسمع  
بالإنسان النحيل ، فكان يشتري الجريدة ، ويعتمد بها عند صاحب له ،  
ليقرأ له ما كتبه عنه .. وعن جاره بائع البطاطا .. وعن سنية المومس  
التي تسكن خلفهم ، وتسهر كل ليلة ، وتظل تزعمهم بشجارها حتى الصباح  
وعن الأعرج الذى يقفز كالجراده على جانبي الترام بقدمه الواحدة ليبس  
الكبريت .. والبلوان النحيل المعروق الذى يرتص بيطنه وأصابه ،  
وعينه وأفق ، والعامل الذى تنهم الآلة عرقه ودموعه ودمه ، وساعات  
عمره الحيوية . ثم لا يستطيع بعد ذلك أن يعيش .. والفلاح الذى يزرع  
جسده طوال النهار فى الأرض السوداء .. ويروىها بمصير قلبه وكل  
قواه ، وينام فى السباح ، ويجمع الحسرة والشوك والآلم .  
كان الإنسان النحيل يكتب لهم جميعا ، وكانوا كلهم يشعرون بذلك ،  
فيقرأون كل ما يكتبه .

كانوا يحسون أنه منهم ، يعيش حياتهم ، ويفهمها ويدرك الخيوط  
المعقدة التى تصنع متاعهم .. وتنشأ فى قلبه أصابع القلق الرهيبية  
الغليظة ، الناشئة فى قلوبهم .

وكانوا يلمسون الصلص فى كتاباته .. ويرون النور الجديد خلال





ما يسطره ، فيتنفسون ما يكتب .

وياً كلونه أكلوا عيا بعقولهم ومشاعرهم .. ثم يدبرون أبصارهم في حياتهم من حولهم ، ويفكرون فيما يجب أن تكون عليه هذه الحياة .

والإنسان النحيل نفسه .. كان يدرك ذلك .. كان يدرك التعاسة التي يدورون فيها ، والضيق الذي يخنق أيامهم .. فكان يرسم لهم الأمل ويمنحهم النور .. ويأخذ بيدهم في الطريق عبر ما يكتبه . ؟

هذا الرجل الكبير كنت أحبه . وكان الناس يحبونه ، وكان هو أيضاً يحبنا أشد الحب وأكبره .. ويحب حياتنا ، ويمجدها .. ويكره أن يرى المتاعب والتعاسات تسودها وتشوها .

وجه لنا ، كان يدفعه دفعاً لاً هوادة فيه ، يرسم لنا حياة أخرى أكثر اطمئناناً وأعم محبة .

لكن الرجل الكبير لم يكن يعرفني . أو أنه لم يكن يعرفني المعرفة الخاصة الفردية .. كانت معرفته لى عامة .. كان يتكلم معي ، وكان يفعل ذلك أيضاً مع الكثيرين ..

\*\*\*

في الأمسيات التي كان يجتمعنا فيها الحديث ، كنت أعتمد ذقني براحة يدي ، وأسط عيني على فمه وعينه .. وكان هو يجلس بيننا .. ما تلا برأسه ونصف جسده إلى الأمام ، وذراعاة النحيلتان تلوحان حول وجهه كأنما تتثران كلبانه ، وتصفانها في آذاننا ليستقيم لنا المعنى الذي يتصدده وشعراته البيض تلمع في رأسه ، وشفاه ترتجفان ، وفي عينيه شعاع من نور أزرق عذب ، يحترق باستمرار فيضي كل وجهه بالأمل ..

كان يقول ، وصوته الرزين العميق المنغم يرن في آذاننا رئيسنا قنسيا  
مليثا بالحبية :

— النور الذاتي .. من يكرهه ؟ .. شمس العدالة ستسطع غداً ..  
لم لا تسطع الآن ؟ .. إن كل شيء طيب .. مغرق في الطيبة والبساطة  
لكنه مشوه .. ؟

ويصمت برهة .. وبسعة الودودة تضيء كل الوجوه من حوله ،  
وكانت رؤوسنا تدور لكلماته ، وكانت قلوبنا ترتجف لها .. وكانت  
تبلور في صدورنا معاني عظيمة .. من ذا الذي يستطيع التعبير عن الخير  
الذي تمحله إلى القلب المردق ، كلبة وديعة حافزة ؟

\*\*\*

حدثت أشياء كثيرة لا يمكن الحديث عنها .. وخلاصة القول ..  
إن الرجل الكبير ، الإنسان .. قد إختفى من بيتنا لجأة .. وظللنا جميعا  
طوال عامين تتساءل ، وقد أحسنا بالفراغ الذي خلفه لنا ..

وذهب كلام ، وجاء كلام .. وراحت شائعات كثيرة ترمم لنا  
المصير الذي انتهى إليه الكاتب .. الإنسان .

وعرفنا جميعا .. وما استطاع أحد منا أن يتكلم ؟

\*\*\*

طمان مضيا في الحياة .. والناس تدور بهم دوامات حياتهم  
كأحجار طاحون ردى ..

وفي أمسية .. كنت أعبء الطريق ..

ومن الناحية المقابلة .. أضاء النور الأحمر في شارة المرور فتوقفت  
على الطريق كل العربات ..

كانت من بينها عربة نقل كبيرة .. وفي صندوقها الخشب المكشوف ،  
ناس كثيرين .. وحين إقتربت ، ووقفت في صف العربات التي أوقفتها  
العلامة الحمراء .. تعلقت أبصاري بالوجوه الجمادة المصوصة ، واللحي  
النامية ، والعيون التي تدور بحذر في أنوار الطريق .. وأردية السجن  
الزرقاء الغامقة ، الملتصقة بالأجساد التي تتضح بالهرق .. وكانت  
شفاه الجميع ترتجف ، وحلوقهم فاغرة .. لكن لا يصدر منها صوت ..  
كان عليها حاجزاً غير مرئي .. حاجزاً مخيفاً ، جعل الكلام الكثير ،  
والمعانى التي تجيش في الصدور ، تحتبس في الأفواه ..

وكانوا جميعاً يغمدون عيونهم في مظاهر الحياة الطليقة من حولهم  
في نهم ويشرثمون برقابهم ، ويمطون رؤوسهم بقدر ما تسمح لهم القيود ،  
ليمكنهم إستيعاب أكبر قدر ممكن من الرؤية ..

وجدت عيوني فجأة .. وإرتجف قلبي ، حين وجدت الإنسان النحيل  
يجلس بينهم .. !

وعادت إلى ذهني بسرعة ، كل التسكينات التي دارت على ألسنة الأصدقاء  
وهبط على قلبي غم مفاجئ .. !

الرجل الذي يصنع الحياة .. في عربة واحدة مع أولئك الذين  
دفعتم ظروفهم إلى هدمها !

ودنوت قليلاً ، ورحت أحرق في الرجل ، كانت ذراعه مربوطة  
بشاش كثير إلى رقبته .. وفي ذراعه الأخرى قيد .. ونظارته السمكة  
مشروخة الزجاج .. وكان يرتدى ملابسه العادية .. لكنها مهدلة ،

مؤقة من بعض أجزائها .. وكان يبدو في وجهه إرهاب مريع وكلال ..  
وفي عينيه ، من وراء نظارته ، رأيت رمادا كثيرا .. رمادا فيه  
معنى العذاب .. !

وبفتة وجدته يدير وجهه ناحيتي في سرعة .. ويطلق التحديق ويثرثب  
بعنفه من أعلى حاجز العربة الخشبي ، ورفع ذراعه المقيد فارتفع معه  
ذراع جاره .. ثم أصلح من وضع نظارته على عينيه .. واخذ ينظر  
إلى ناحيتي وقد فخرناه .

كان من الواضح أنه عرقي .. أو أنه تذكر أنه عرقي .. ووجدت  
الرماد الذي كان يملأ عينيه يزاح .. ويلعب من خلاله ذلك الشعاع من  
النور الأزرق العذب ، الذي يحترق باستمرار في عينيه فيضيء كل وجهه  
وانتشرت ابتسامته الودودة الطيبة على شفثيه .. فوجدتني ابتسم في  
فرح وألوح له بيدي .

كان من الواضح أنه في وضعه هذا بحاجة إلى إنسان يعرفه .. لقد  
أخرجوه ، ربما ليحققوا معه ، أو يستجوبونه .. أو يأخذون شهادته  
.. وسوف يعيدونه ثانيا .. وربما يخرج مرة ثانية ، وربما لا ..  
شعرت أنه يريد أن يتحدث إلى إنسان يعرفه .. ربما ليسأله عن حال  
أهله .. عن حال أولاده .. ؟ ..

قرأت كل هذا في عينيه ووجدت شفثيه ترتجفان وحلقه يضطرب ..  
.. كان من الواضح أنه يعد الكلام ليرسل به من فمه ..

شعرت من كل حركات الرجل ، ونظراته والتمايع البريق في عينيه أنه  
سوف يناديني ، فتحركت بلهفة . وأوشكت أن أقرب من العربة ..  
لكنه لجأ ..

أنزل يده ومات السبريق في عينيه . . وإذ تسم الضيق على وجهه  
وهو يشيح به بعيدا عني إلى داخل العربة . ؟

ونظرت حولي بحيرة . .

لماذا عدل عن التحدث معي . . ؟

عدت يبصرى إلى العربة فوجدت العسكري الذى يجلس بمجواره  
يمد رأسه ويحدق في وجهى برية وفضول .

نظرت الى الإنسان النحيل طويلا وأنا أبتسم . . وجاوت بالتماح  
صوتى أن أجمله يفهم ، أتني عرفت لماذا تجاهلتني . . وشعر هو بأنى  
فهمت ، فأضأت ابتسامته الودودة كل وجهه .

وقد تكلمنا طويلا . . أنا وهو . . خلال اللحظة التى دام فيها  
وقوف العربات . . وتبادلنا معلومات كثيرة . . وعرفت أشياء صعبة  
. . أشياء رهيبة عن طريقة الحياة هناك . . وامتلاأت مشاعرنا  
بأحاسيس كبيرة جياشة . . وغمر الأمل الدافق كل قلوبنا . .

وخلال الطريق ، كنت أنظر في وجوه الناس المرهقة من حول . .  
فأكاد أشعر بأنهم جميعا . . أصدقاء وأقرباء ، وأمل ، للإنسان الذى  
التقيت به منذ دقائق . .

وقد اصطخب بصدري إحساس غامر ، كان يؤكد لى ، أن من حق  
كل هؤلاء الناس ، أن أقول لهم أتني قابله . . ولأنه بخير . . ولأنه لم  
ينته . . لأن الإنسان لا ينتهى .. أبدا لا ينتهى ..



الرسوم الداخلية للفنانين :

يوسف فرنسيس

حسن حاكم

صلاح جاهين

إيهاب شاكر

بهجت عثمان

اسماعيل طه

جمال كامل

زهدي

كاريكاتير الغلاف للفنان حجازي.



إهداء	٣
هذه القصص	٥
القميص	٩
تجمهر	١٩
التليذ	٢٥
تفاح	٢٣
كتا بنضحك	٣٩
الباب	٤٦
السكران	٥٧
الساعة	٦٦
في الغرب	٧٣
الإنسان	٨٥

د مطابع الناشر المصري د

ا شارع الصحافة - القاهرة



Bibliotheca Alexandrina



0601428

٢٠



أ شارع الصحافة - القاهرة